

بدل الاشتراك عن سنة

٨٠ في مصر والسودان

١٥٠ في سائر الممالك الأخرى

ثمان العدد ٢٠ ملياً

الاعتمادات

يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة الأسبوعية للفكر والعلم والفن

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire

Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها السئول

أحمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ - عابدين - القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العدد ٦١٢ «القاهرة في يوم الإثنين ١١ ربيع الآخر سنة ١٣٦٤ - ٢٦ مارس سنة ١٩٤٥» السنة الثالثة عشر

معروف الرصافي

١٨٧٥ - ١٩٤٥



(الرصافي وهو في الحين من عمره)

نبي العراق أول هذا الأسبوع شاعره الباقي ، فوجت لنساء
ألسن ، وجزت لفنقه نفوس ! ثم قرأنا أن بنداد قد غسلت
شاعرها الراحل بالدموع وشيعته بالحشرات ، وكنا قرأنا من قبل
أن الرصافي في أعقاب عمره كان يطلب النداء الكيني " فلا يجده ،
ويلتمس الدواء الضروري فلا يناله !

لفظ معروف الرصافي أنفاسه الأخيرة في حجرة مظلمة مقرورة
لا يلمظ جهومتها نور ولا نار ، ولا يخفف وحشتها خليط
ولا جار ؛ ولم تقع عينه الشاخسة وهو في نزاع الروح إلا على
ورقة هنا وكتاب هناك ، أو على خادمه الأمين يتأسك لحظة
وتبألك أخرى ، والدنيا التي صحبها الشاعر سبعين عاماً يدل على
جامها الميون ، ويغرى بمتاعها الأفتدة ، لم تجد عليه ساعة الوداع
بيد رفيقة تغمض عينيه ، ولا بين حبيبة تذرف دموعه عليه !
كان الرصافي - أحسن الله إليه - لسان المراق الصادق ،
ينقل عن شعوره ، ويترجم عن أمانيه ، ويحدو لركبه المجاهد
في سبيل استقلاله وعزته بالهداء الحامسي المطرب ، ويصور
خلجات نفسه ووساوس أحلامه بالشعر الصريح المعجب ؛ وظل
هو والزهاوى وشوق وحافظ ومطران حقبة من الدهر يؤلفون
الأوتار الخسة لقيثارة الشعر الربى الخالص . ولكل وتر درجته
في الرنين والجهارة والأثر .

والرصافي أشبه بحافظ من الزهاوى بشوق . وإن شئت فقل
كانا الوترين الرابع والخامس في القيثارة : صوت عريض منخم ،
وذبذبة ضيقة محدودة .

كان هذان الشاعران يتشابهان في أسلوب العيش وأسلوب
الفكر . كانا صدقاً لمتناف الجمهور في السياسة والاجتماع ، ورجماً
لأثنين الساكنين في الألم والشكوى . وكانا يتقاربان في جوانب
من ضيق الثقافة وقلة الاطلاع وبوهيمية الحياة . ولكن الرصافي
كان متميزاً على نظرائه جميعاً بالصراحة الجريئة والاستهتار البالغ .
كان يعيش ليومه وينطلق على هواء ويستجيب لتمرزته ، فيفعل

لينادم خليفة الأمين ، وإذا الأمل الفسيح والطموح البعيد يسفران
عن وظيفة متواضعة في وزارة المعارف ! حينئذ تفجر غيظه
المكتوم على السلطان ورجاله فأعلنها شعواء بالهجاء القذع والهكم
الفاحش . ووسعه (معاوية بنى هاشم) بحمله ، وتنمذ إساءته
بإحسانه ، ففتح له الطريق إلى مجلس النواب ثم عاد فأغلقه دونه .
ونال الخذلان والحorman من نفس معروف ومن جسده ففتر
نشاطه وتراجع شعره ، ورضى من دهره بالمهلكات الثلاثة : شرب
المرق ولعب الورق واستباحة الجلال !

وعلى هذه الحال الضنية أدركه الفقر والمرض والموت دون
أن يجد آسياً من إيمانه ، ولا موسياً من إخوانه !

قلت لصاحبي ذات ليلة من ليالي في بغداد : أريد أن أزور
الرصافي فقد زارني مراراً ولم أزده . فقال : أتسجد على أن تدخل
حي البغايا ؟ قلت له : وما صلة هذا بذلك ؟ فقال إنه يسكن بينهن ،
وقد تزوره واحدة أو أكثر منهن . قلت له : هلم ، فإيسع زواره
من السدر يسعنا . ودخلنا البيت فإذا هو بيت الشاعر الأعزب
الشلال ، لا أثاث ولا نظام ولا حرمة . وكلمة الشاعر هنا بدل
الأديب بذلك على أن ليس بالنزل مكتب ولا مكتبة ؛ فقد كان الرجل
لا يقرأ ، وإنما كان يتكلم على شدة ذكائه وحدة فهمه ، ويكتفى
بما حصل في شبابه من أدبه وعلمه . كان في الدهقة قوم يأكلون
ويشربون ، وفي حجرة النوم آخرون يسمرون ويلعبون ، وكان
الرصافي يتصدر هؤلاء ، في عشاء كأس ، وفي يسراء ورق . فلما
رآني فض اللعب وأقبل بأنسه على . ثم أخذ يشرب ويتحدث
باللغة العارية عن الحقائق العارية في غير اكتراث ولا تحفظ .
ويظلم الرصافي من يقيد عليه في مثل هذه الحال . ولكن نداماه
بروون شعره أو يذيعون حديثه فيبلغ صاحب الملك فيغضب ،
أو صاحب الحكم فيعجب ، أو صاحب الدين فيمضخ ، أو صاحب
الخلق فيثور . وكل أولئك يبادون الرصافي ، ولكنهم يهابونه
لشخصيته ، ويحترمون لبقرته ، ويتربصون به سوء المصير
هذه صورة مصفرة لحياة الفقيد الكرم ، أما عقيدته
فالأمر فيها لله لا للناس ، وأما شاعريته فالحكم عليها للنقاد
لا للتورخ . وقد يكون لنا إليها عودة . . .

محمدين الزيات

ما يشاء ، ويقول ما يعتقد ، ويطلب ما يشتهي ، ثم لا يبالي أين
يقع ذلك كله من رأى غيره . ولا مرء في أن لهذه الحرية المطلقة
أصلاً في مولده ونشأته . كان أبوه من بدو الكرد وأمه من بدو
العرب . وكنا فقيرين فولداه ببغداد في مهد بدوي خشن . ثم
نشأه على أخلاق البادية الأصلية . ثم أرخيا له الحبل وركاه يندو
ويروح على منتضى فطرته . ثم تبناه بالروح عالم العراق الأستاذ
محمود شكرى الألوسي فلحقه في اثني عشر عاماً أسول المقول
والمقول من علوم الدين واللغة والأدب . ثم حاول أن يقبسه
أشعة من نور سلفيته وتقواه ؛ ولقبه بالرصافي رجاء أن يخلف
معروفاً الكرخي في سوفيته وزهده . ولكن غمراً ثم معروف كانت
أقوى ، ومطامحه كانت أبعد ، فخرج من هذه الرياضة الطويلة مسلم
اللسان جاهلي القلب .

ووجد الرصافي العراق على فترة من الشعراء ينتظر أبا نواسه
البعوث ، فصاح على ضفاف الرافدين صدحاته المعروفة فأصفت إليه
الأشماع واهترت له القلوب . ورأى الناس في أمثال قصائده :
(المطلقة) و (أم اليتيم) و (اليتيم في العيد) أسلوباً من الشعر لم
يعرفوه فأكبروه . وحاول أن ينفض عن نفسه غبار التربة
فزاوَل التعليم في مدارس بغداد . ثم كان من الذين سارعوا
استبداد عبد الحميد بقوافيه السمومة ؛ فلما خر الطاغية وأعلن
الدستور تناطحه النصر وازدهته الشهرة ، فاعتقد كما كان يعتقد
الشعراء أن له أن يقول وعلى الناس أن يفعلوا ، وأن له أن ينفض
وعليهم أن يفعلوا . فذهب إلى الأستاذة يطلب المجد بوساطة
شعره ، فكان قصارى أمره أن يكون خوجة في مدرسة أو محرراً
في صحيفة . ثم سما به الحظ درجة فانتخب نائباً في مجلس (البعثان)
عن لواء اللتق ؛ وظل في عاصمة الخلافة مدة الحرب الماضية حتى
أعلنت الهدنة . وكانت ثورة العرب على الترك يومئذ قد انجملت عن
عرش أمية في دمشق يجلس عليه فيصل الأول ، ومن حوله سيوف
الثورة وألسنها من أمثال ياسين ونوري وجعفر ورستم وساطع . وجاء
الشاعر الطامح يبحث عن مكانه في الدولة العربية الجديدة فلم يجد .
فانقلب بعد طول الصبر وإدمان السعي إلى فلسطين نائب الأمل
كأسف البال يبتنى العيش فيها من طريق التعليم . فلما انتقل العرش
الهاشمي من الشام إلى العراق سنة ١٩٢١ ، عاد الرصافي إلى وطنه
ورجا أن ينال في بغداد ما لم ينله في دمشق . وتها خليفة النواصي

الرقص

للأستاذ محمد إسماعيل النشاشيبي

~~~~~

نشر أحد الكتاب مقالة صالحة في (البلاغ) الفراء ذكر فيها الرقص وبين عفاسته ، وحض الناس عليه ، والرقص شيء حسن لا يجادل في فضائله وحسناته مؤمن

(الرقص) شيء حسن ليس به من حرج

أقل ما فيه ذهاب (م) الهم عن قلب الشجي<sup>(١)</sup>

وقد كان الآباء المتقدمون يعلمون الرقص ويرقصون . ولإسحاق الموصلي (كتاب في الرقص والزفن<sup>(٢)</sup>) ذكره ياقوت في (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب)

وفي (السيرة الحلبية) : « عن أبي بشر أن النبي وأبا بكر صرا بالحشة وهم يلعبون ويرقصون فلم ينكر عليهم ، وبه استدلل أئمتنا على جواز الرقص حيث<sup>(٣)</sup> خلا من التكسر »

وقال ابن عساكر في تاريخه الشهير :

« كان المباس بن الوليد بن عبد الملك فارساً سخياً ، وكان يقال له فارس بن مروان ، وافتتح مدناً وحصوناً من بلاد الروم . وكان الوليد يمد<sup>(٤)</sup> بالمباس ابنه وجداً شديداً ، وكان له من قلبه أحسن موقع ، فأدبه بجميع الآداب حتى علمه الرقص وضرب الطبل »

وفي كتاب (فتح الطيب من غصن الأندلس الرطيب) :

« كان المنصور بن أبي عامر (سلطان الأندلس) قد عزم في يوم

(١) ابن رشيقي صاحب المدة

(٢) في اللسان : الزفن شيء بالرقص وأصله اللعب والدفع وفي

حديث عائشة : قدم وفد الحيرة فجعلوا يزفنون ويلعبون أي يرقصون

(٣) حيث (لتلليل) مولدة . وفي فاتحة الفصل : « ولعل الذين

يغنون من العربية ويضنون من مقدارها حيث لم يجعل خيرة رساله وخير

كتبه في حجم خلفه ولكن في حربه لا يمدون من الشوية متابذة للحق

الأبلغ » ومثل هذا الاستعمال في (كتافه) كثير

(٤) وجد به ، وتوجد به : أجه .

على الانفراد . فأمر بإحضار من جرى رسمه من الأدباء والندماء ، وأحضر الوزير (أحمد بن شهيد) في محفة<sup>(١)</sup> لفرس<sup>(٢)</sup> كان يعتاده ، وأخذوا في شأنهم . فمر لهم يوم لم يشهدوا مثله ، وظلوا الطرب ، وسما بهم حتى سباح التيوم ورقصوا ، وجعلوا يرقصون بالنوبة حتى انتهى الدور إلى ابن شهيد . فأقامه الوزير أبو عبد الله ابن عباس فجعل يرقص وهو متوكئ عليه ، ويرتجل ، ويؤمى إلى المنصور وقد غلبه السكر :

هاك شيخاً قاده عذر لكا قام في رقبتة مستهلكا  
لم يطق يرقصها مستتبكاً فأنشئ يرقصها مستمكاً  
عاقه عن هزها منفرداً نقرس أخنى عليه ، فانكا  
من وزير فيهم رقاصة قام للسكر يناغى ملكا  
أنا لو كنت كما تعرفني قت إجلالاً على وأسى لكا  
فهقه الإبريق منى ضاحكاً ورأى رعشة رجلى فكي  
وهذه قطعة مطبوعة وطرفها الأخير واسطها . وكان حاضرهم ذلك اليوم رجل بنداى حسن النادرة سريها ، وكان ابن شهيد استحضره إلى المنصور فاستطبعه<sup>(٣)</sup> . فلما رأى ابن شهيد يرقص قائماً مع ألم المرض الذي يمتعه من الحركة قال : لله درك يا وزير ! ترقص بالقاعة وتصل بالقاعدة . . . فضحك المنصور ، وأمر لابن شهيد بحال جزيل ولسائر الجماعة وللبنداى :

وفي (مسالك الأبصار في ممالك الأمصار) : « قال محمد بن

المؤمل : كنت مع أبي العتاهية في سميرة<sup>(٤)</sup> ونحن سائرون

(١) المحفة ( مركب كالمودج إلا أن المودج يشب والمحفة لا تقب .

قال ابن دريد سميت بها لأن الخشب يحف بالقاعد فيها أي يحيط به من جميع جوانبه

(٢) الفرس ( ورم ووجع في مفاصل الكمين ، وأصابع الرجلين

( القاموس المحيط ) ومن معانيه الهلاك والذهاب العظيمة

(٣) استطبعه ( يريد استلحه : وجده أدياً مطبوعاً » وكلام

وشعر مطبوع تنأ من الطبع والليقة » واستطبع : ولدة . وفي (شفاء الغليل)

الطبوع ما تنأ عليه الطبع ثم توسعوا فيه لئلا ما يستلج

(٤) للسميرة ( ضرب من السفن

وفي (بَيْتَةِ الدَّمْرِ) لأبي منصور الثعالبي : كان القاضى التنوخى فى جملة القضاة الذين ينادمون الوزير المهلبى ، ويحتممون عنده فى الأسبوع ليلتين على التبسط فى القصف<sup>(١)</sup> ، وهم ابن فريسة وابن معروف والقاضى التنوخى وغيرهم ، وما منهم إلا أبيض اللحية طويلاً ، وكذلك كان الوزير المهلبى ، فاذا تكامل الأسى ، وطاب المجلس ، ولذ السماع ، وأخذ الطرب منهم كل مأخذ — وهبوا ثوب الرقار للمقار ، ويرقصون أجمعهم . وإياهم عنى السرى بقوله : « مجالس رقص القضاة بها » فاذا أصبحوا عادوا لمعادتهم فى التوفر والتحفظ بأبهة القضاة ، وحشمة الشايخ والكبراء .

هذا قليل من كثير من أخبار الرقص والراقصين من السلف الصالح ، فكيف أن نحرم ما حللوه ، وأن نستهن عملاً قد استحسروه ، وهم الناس عندنا ، وهم لنا قدوة . بيد أنما نقول : ألا يرى الكاتب الفاضل والمقلد من أهل الرجولية والحزم أنا (معشر العرب) أخرج فى هذا الوقت إلى إتيان فن (الإيقاد) منا إلى تعلم فن (الرقص) ؟ و« اليوم أمر وغداً خمر » وأنا حقيقون أن نتمثل بما تمثل به البطل الأموى (عبد الملك بن مروان) حين أقبلت عليه تلك الحوراء الباعرة وهو فى محاربة (ابن الأشعث) : قوم إذا حاربوا شدوا مآزرهم دون النساء ولوبات بأظهار<sup>(٢)</sup> حتى إذا نجونا مما نحن فيه أجبا داعى الطرب ، ورقصنا الرقص العجب ؟

(١) (التصف) اللهو واللعب ويقال أنها مولدة ، والتصف الجلبة والاعلان باللهو (اللسان)  
(٢) البيت للأخطل فى يزيد بن معاوية

مطبوعات لجنة التأليف والترجمة الحديثة

صدر الجزء الأول من

الروائع

لشعراء الجيل

المؤستاذ محمد فهمى

دراسة تحليلية ومختارات لأبغ شعراء الجيل ، فتح جديدي فى عالم الشعر العربى  
الثنى ١٥ خرساً وطلب من اللجنة بالقاهرة : ٥ شارع خلوصى بمبنى الروضة

إلى (أشعوى)<sup>(٣)</sup> فسمع غناء من بعض تلك النواحي فاستحسنه وطرب وقال لى : آهمن أن ترقص ؟ نقلت : نعم . فقال : فقم بنا ترقص .

فقلت : فى سيمرية ؟ أخاف أن نفرق .

قال : إن عرفنا أليس<sup>(٤)</sup> نكون شهداء الطرب ؟ ...

وفى (كتاب الأغاني) لأبى الفرج الأصبهاني : « قال عبد الله ابن جعفر : يا غلام ، سر فلانة أن تخرج ، نخرجت معها عود ، فقال عبد الله : إن هذا الشيخ (يعنى صديقاً له) يكره السماع . فقالت : ويحك ! لو كره الطعام والشراب ، كان أقرب له إلى الصواب . فقال الشيخ : فكيف ذاك وبهما الحياة ؟

فقلت : ربما قتلا وهذا لا يقتل . فقال عبد الله : غنى

لمن ربيع بذات الجيش (م) أمس دارساً خَلَقًا<sup>(٥)</sup>

فغنت ، فجعل الشيخ يصفق ويرقص ويقول :

هذا أوان الشد فاشتدى زَيْمٌ<sup>(٦)</sup> ويحرك رأسه ، ويدور حتى وقع منشياً عليه ... »

وذكر القوسى فى الوحيد أنه كان للشيخ ابن الفارض جوار بالهنسا يذهب إليهن فيغنين له بالدف والشبابة وهو يرقص ويتواجد وللشيخ برهان الدين القيروطى :

حبذا مجلس أنس ضحنا بعد شتات

مجلس يرقص فيه طرباً قاضى القضاة

(١) (دير أشعوى) وأشعوى امرأة بنى الدير باسمها ودنت فيه وهو بفطر بل (ممالك الأبحار)

(٢) فى شرح الكافية : إذا كان جواب الشرط مصدراً بهزة الاستهزام سواء كانت الجملة فعلية أو إسمية لم تدخل الناء قال الله تعالى : (أرأيت إن كذب وتولى ألم يعلم) ويجوز حمل هل وغيرها من أدوات الاستهزام على الهزة . قال الله تعالى (قل أرأيتم إن آتاكم عذاب الله بنسة أو جبهة هل يهلك ، الآية) وقال تعالى (قل أرأيتم إن أخذ الله سمكم وأبصاركم وختم على قلوبكم من أله غير الله) ويجوز دخول الناء فيها لعدم عراقها فى الاستهزام قال الله تعالى (قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربى وآثاقى من راحة فئن ينصرنى) ويقولون إن أكرمك فهل تكمرنى

(٣) (ذات الجيش) موضع

(٤) (الشد) العدو ، الرقص (زيم) اسم فارس

فهل بعد هذا يحتقر بعض الأمم شئون الفرد الواحد ويتروكونه مهملًا ، زاعمين أنه لا وزن له إزاء الأمة أو العالم ؟ !  
وهل قام الخير ، أو قام الشر إلا بواحد ؟ الواحد هو أساس العدد اللانهاى .

وهكذا إذا أراد الله أن يتصل بالناس جميعاً اتصال تنوير في نظمهم المعاشية والسياسية والدينية ، وضع يده في قلب واحد ، وسلط منه تياراً خفياً على الجميع . فإذا كان يريد خيراً بالعالم أطلق تيار الخير من قلب رجل خير ، وإذا كان يريد قسوة وقصاصاً أطلق تيار الصق والحرق السريع أو البطيء من قلب رجل شر .  
فلنتجسّد أن نجعل قلوب الأفراد مواضع ليد الله حين يريد الخير .

\*\*\*

والعناية والمشيئة الإلهية التي تخرج وجوه الناس وقوسهم وعقولهم صوراً شتى متباينة مهما كثرت الأعداد ، بحيث لا يتشابه وجهان ، ولا يتماثل عقلان في كل شيء حتى ولو كانا لتوأمين ، ترشدنا إلى أن نرى في كل فرد جانباً متميزاً من الإنسانية ، وأنه موضع عناية وقصد من مخرجه .

ولو فهمت الدولة قيمة القصد في الفرد الواحد وخطره في الحياة في حالتها صلاحه وفساده ، إذن ما كانت تسمح لنفسها أن تترك فرداً دون أن تمر عليه بمنظار مكبر يكشف عن أدوائه ومناقمه . فالفرد إما بؤرة ظلام نجس وفساد متنفذة تحمل الجرائم الفتاكة منها حيث حلت ... وإما بؤرة صلاح وطهارة وإشعاع تحمل وتمكس عوامل الحياة والجمال معها حيث حلت . وشتان ما بينهما ! فكيف تهمله الدولة هذا الإهمال الشنيع وهو ما هو في جسمها ؟ ! لو أفلت فرد شرير شيطاني من قيادتها وحراستها إذا لغات فساداً في حرثها ونسلها وعمرانها . ولو ضاع فرد ملكي من رعايتها وتعهدها وتشجيعها ، إذا لضعاع عامل عظيم من عوامل نموها وارتقائها وسعادتها . ولعل فيه ما يرفع النوع كله .

ويظن أكثر الناس أنه يكفي لإنشاء « الفرد الإنسانى » أن تطرح بذرة منوية في رحم من الأرحام ، تولد بعد مدة ، فتتمو حتى تكون ذلك الجسم المهود الذى يملأ أسواق الحياة ، ونسوا أنهم في إنشاء شجرهم وغراسهم وحيوانهم يسلطون يقظتهم وعملهم وتمهدهم الدائم ، حتى يحصلوا على ما يريدون من الأصناف المطلوبة

## الواحد ... !

### للأستاذ عبد المنعم محمد خلاف

« البعيرة الكبيرة من النبع الصغير هذه الحرب من قلب واحد . صامات التيارات العظيمة . الفرد المنشود عالم معقد التبادل بين الفرد الواحد والانسانية الجامعة . توزع الدنيا على الأفراد والأفراد على الدنيا . من جذور الشجرة الانسانية إلى ثمارها . لا بد لحياة الشجرة من اعتراف كل جزء فيها بكل جزء »

تظهر بوضوح قيمة الفرد البشرى الواحد ، ومبلغ آثاره تصرفه ، في تدبير تشرشل أو هتلر أو روزفلت أو إينونو أو ابن سعود أو ستالين أو أيزنهاور أو أمثالهم . فإن تصرف أحدهم يجر على أمته إما الحسنى والبخار ، وإما السوء والدمار .  
ففى أمثال هؤلاء يتبين كيف يجر فرد واحد العالم ، أو شعبه وراة فيخفضه أو يرفعه . ومعنى هذا أن الفرد البشرى ذو قيمة كبرى في حياة الاجتماع ، وأن وضعه هذا يحتم عليه وعلى الدولة أن يمتدحها دائماً من سوء تصرفاته ، وما يجلبه على الاجتماع من الضر .

فتصرف الفرد في الحياة الاجتماعية أشبه بتصرف ماء مستبحر من ثلم رخو ، على أرض منخفضة ، يبدأ ضعيفاً ، ثم لا يلبث أن يتحول سيلاً حادّ ورأ لا يستطيع رده .

ومهما قيل في حكم الديمقراطية المطلقة ، والشورى الفضفاضة ، فروح الانتقال والبطولة ، وفتح آفاق جديدة تركز غالباً في فرد واحد . وخصوصاً عند الأزمات الخطيرة ، ويكون هذا الفرد حينئذ كموضع نبع الماء في البعيرة التي يكونها ، ويكون آثاره وعظمته بها . فوضع النبع صغير ، ولكنه هو البعيرة الكبيرة في الواقع !

وكيف انبثق هذا الدمار في هذه الحرب على العالم ؟ لقد انبثق من قلب رجل واحد ملأ قلبه بالحق والصفية على الذين رآهم لم ينصفوا أمته . وجمع الحق والصفى في قلبه ، كما يتجمع القيقق والصديد والرّحى في رأس خراج ، فيصيب جسم أمته بالملح والزعدة ، ولا يمكن سده إلا بعد التصفية النهائية .

وما أعجب أن تنظر إلى وجوه الناس ورءوسهم ! إنها صفحات يبدو للناظر المجلان أنها سطحية ضحلة . ولكنها للناظر المتأمل المنقوس تقذف به إلى لا نهائية ذات أعماق . والعيون هي مسالك تلك الأعماق !

وكذلك يثير وجه كل فرد وعقله صورة من صور الدنيا . وكل فرد كأنه الحياة كلها مستقنة . حتى ليخيل إليك أن الدنيا الإنسانية تنقص بموت فرد واحد ، وأن مكانه لا يملأه غيره سواء علا أم سفل ، علم أم جهل . فتوزيع الدنيا على الأشخاص ، وتوزيع الأشخاص على الدنيا يعطى صورة فنية أو حبكة مسرحية يحشد فيها الفن الرفيع والإخراج البديع .

ولذلك قالت التوراة والقرآن : « أنه من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً ، ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً ... »

ومن هنا جاءت قداسة الحياة الفردية في الشرائع ، واستنكار الاعتداء عليها استنكاراً إجماعياً . وقد أعطت الإنسانية الفرد حرية تخيلتها لنفسها واستوحتها من إحساسها العام وضميرها المشترك .

\*\*\*

والإنسانية كجسم شجرة واحدة ؛ فيها جذور لا بد أن تعيش في الطين والظلام والعفونة لتحلل غذاءها وتأخذ عناصر بسيطة تتركب منه ما تشاء من اللباب والقشور والأزهار والثمار والعمود إلى آخر ما في عالم الأشجار .

وفيهما سيقان لا بد منهما لتحمل غيرها وترفعه إلى عالم الجو والضوء والنسمات .

وفيهما أوراق تبلغ من الكثرة حداً كبيراً يرتفع إلى مستوى الرينة ويشارك في صميم العمل الضروري لحياة الشجرة ، لأنها رئات يتنفس بها الشجر .

وفيهما أزهار وهبها واهب الحياة العطر والجمال ، وأخرج فيها روحاً خاصاً يخيل للناس أنها ليست من عالم الطين والعفونة والتحلل والظلام .

وفيهما ثمرات هي ضاديق أسرار الشجرة ومستودع حياتها المقبلة . وهـ روح الشجرة تحمل سر نوعها من الماضي للمستقبل . ولا مفر من اعتراف كل جزء من الشجرة بكل جزء آخر لتحيا جميعها . ولا بد أن يعلم كل جزء أنه وضع في موضعه الرفيع

المرغوبة ، وأنهم يستهترون ويحاربون الآفات التي تدنو من حرثهم وحيوانهم .

ألا إن الإنسان المنشود عالم معتد ليس الجسم الظاهر إلا وعاءه وقاله ! أما سره ومعناه وليابه كما يريد رب الحياة من « النوع » فأمر لا تظهر إلى عالم الاجتماع إلا إذا اجتمعت لها عوامل الحياة الصالحة بنسب موزونة .

وإن الروح التي عنها يتحدثون هي نتيجة تفاعل الحياة الحيوانية في الجسم مع نتائج التربية والبيئة والتعليم وجميع المؤثرات . إنها كائن يفصل عن الجسم كنتيجة وجود هذه العوامل الأرضية المختلفة . وإن من أدواتها ذلك اللوح الخلق السريع التأثير الذي ينطبع فيه ما يقع عليه ، أو يتخيل أمامه من المؤثرات .

فالذين يلقون بذور الإنسان في الأرحام ولا يتتبعونها قبل إلقائها ، ولا يهتثون لها الجو الصالح وهي في مستودعها ، ولا البيئة العالحة وهي في نشأتها ، ويتركونها هكذا تتداولها العوامل الطيعية مصادفة ؛ عولاء ينفى ألا ينتظروا من الحياة أن تعطيهم تلك الوحدات الإنسانية المشودة القريبة من الكمال في صفات نوعها .

\*\*\*

والإنسانية ملك الفرد ، والفرد ملك الإنسانية . وما كان من استطاع أن يحصل الفرد الإنسانى ما يحصله الآن من الأفكار والمعلومات والتجارب والأرزاق والمتاع لو أنه عاش فريداً متأبداً ، أو لو أنه اعتزل حياة الاجتماع .

فنحن جميعاً بإزاء بحار المعاني يأخذ كل فرد منا غرفة منها يلونها في إنائه بلونه الخاص ، ثم يقدمها إلى غيره من الناس . وكلما أضيف فرد إلى المجموع زاد أفق من آفاق الحياة في الأرض . ولن يمكن أن يحمل فرد عمل آخر ، فإن كل ثمرة إنسانية لها سر خاص لا يرى في سواها . وإن ما أجلس مجلساً مع فرد ما إلا أرى فيه صورة للدنيا لست أراها في مجلس مع غيره .

ومن العجيب أن كل فكر يريد أن يطبع الإنسانية على غراره ويحملها على حياة تصدق منطقته ، مع أن التوزيع والتمياز بين الوحدات الإنسانية قانون مطرد .

وينطوى فكر كل فرد على صورة للدنيا غير الصور التي في أفكار الآخرين ، فكل فرد يرى الدنيا من خلال نفسه ، والأكران عدد العقول .



## اقتحم العرب المحيط

قبل أن يقتحمهم كلبس

للآذنة دوات حسن الصغير

—>>><<<—

نشر في مقتطف فبراير الماضي نص خطبة ألقاها الأب الفاضل أنستاس الكرملى ، بين فيها أن أبناء يعرب القداى اختلفوا إلى جزر القصدير وبحر المانش ، وعرفوا تيار الخليج Golf Stream واتخذوه لهم ناقلاً إلى تلك الربوع المروقة الآن باسم الكسيك . واستدل على ذلك من الأسماء العربية للحيوان والطيور التي تعرف بها إلى اليوم في تلك البقاع .

وكنيت أحب قبل مطالعة كلمته الرائعة ، أنه سيورد من المواجه العربية ما يثبت أن من أبناء قحطان من اقتحم البحر المحيط ليرى ما به من الأخبار والمعجائب ويقف على نهايته . غير أن الأب — أبقاه الله ذخراً للعروبة — اعتمد في كل ما قرره على مصنفات الأغراب فحسب ، إلا ما وجدته بها بنفسه . وليس لي أن أفند ما جاء به العلامة من تحقيقات لغوية ،

أو الوضع ليخدم نفسه ويخدم الجميع . والسفالة في الوضع أو الملو فيه ، والملاية أو الخفاء كلها نظرات اعتبارية في الظاهر ، والحقيقة أن نصيب العمل واحد ، والنتيجة واحدة : هي حياة الشجرة بحياة أجزائها ، وحياة الأجزاء بحياة الأم .

وينبى ألا ينظر جزء من الشجرة لآخر ، وإنما ينظر لليد التي وضعت في كل ليؤدى دوره وخدمته ، ويكفى عزاء لما سفل واختفى أن حياته كثيراً ما تكون أثبت وأدوم مما علا .

ويكفى عزاء لما علا وارتفع عن سرعة فناءه أنه أجمل وأشهر .

وكلا المهيئين جدير أن يحار بينهما وبين قسيمه الاختيار . ألا إننا ممثلون تؤدى أدواراً يرسمها ويحملنا عليها مؤلف رواية الحياة وعمرجها ، بديع السموات والأرض ! فينبى أن نعرف مواضعنا الحقيقية من الكون ، وأدوارنا فيه تؤدىها على أكل وجه ، ثم نخفى وراء « الكواليس » إلى يوم إصدار الرواية الأخرى التي سنؤدىها في المسرح الأكبر ، في الكون الواسع !

\*\*\*

فإلى هذا رميت في هذا المقال — ولكننى سأعنى بالتحدث عن ركب من العرب البحر المحيط قبل أن يركبه كلبس ، معتمدة على ما جاء بالمصادر العربية

ثبت قطعاً أن خرستوف كلبس ليس أول من حط رحاله بالدنيا الجديدة ، ولكن رحلته إليها هي التي فتحت أعين الناس على هذا العالم الجديد ، فبدى من بعده الظلمن إليه والاستمرار .

حدثنا الأب أنستاس بنياً رحلة الراهب برندان إلى جزيرة إيسلند ( المروقة عند العرب باسم ثولى ) ، وجزائر الكنارى ( الجزلات ) ، ثم زوله على الساحل الأمريكى في النصف الثانى من القرن السادس ، كما حدثنا بخبر بعض الرهبان الأرندلين — الذين كانوا يدهشون لركوب العرب تيار الخليج القادم من الكسيك — وزولهم في القرن الثامن الميلادى إلى سواحل أمريكا الشرقية . غير أن التاريخ غمط خقوق بعض الرواد المغامرين من يعرب ، الذين ركبوا الأحوال محاولين اختراق الخضم المحيط المعروف في ذلك الحين باسم بحر الظلمات

الكرة الأرضية والبحر المحيط عند العرب :

نقل العرب كتاب المحسطى لبطليموس القلوذى في مطلع العصر العباسى ، وقالوا في أزياجهم وكتبهم الجغرافية إن الأرض

قطعت ضمنوا لكل عامل بارع مهما كانت مواد عمله خفية أو كريهة مكافأة وتكريماً وتنظيماً لمواهبه . ولا تقصروا اهتمامكم وتعجيدكم على الأجزاء الرقيقة الملونة المزوقة من شجرة الإنسانية : والساسة والحكام والأثرياء ، ومن إليهم من الذين خصهم المجتمع الجاهل بالاحترام ، بل اسنحوا وقدموا ذلك الاهتمام والتعجيد لكل عامل بارع في عمل من أعمال الحياة الإنسانية ، تفتح لكم أبواب من سعادة الحياة ما كنتم تتصورون أن وراءها شيئاً ذا قيمة وتأثير في حياتكم يعادل تأثير السياسة والحكم وما إليهما .

اقضوا على تخصيص الحكام وذوى السلطان والثراء بتعظيمكم وخشيتكم ، وانظروا لغيرهم كذلك من الهال والكناسين وغيرهم وكرموم كرامتهم ، فإن لهم في الدولة أثراً لا يذ منه كآثار « أصحاب الدولة » !

عبد النعم محمد معروف

المحيط . وأشار السعدي إلى هذه النصب بما نصه <sup>(١)</sup> . « وعلى هذا البحر المحيط مما يلي الأندلس ، جزيرة تعرف بقادس Cadix مقابلة لمدينة شذونة .. وفي هذه الجزيرة منارة عظيمة عجبية البنيان ، على أعاليها عمود عليه تمثال من النحاس يرى من شذونة وورائها محيطه وارتفاعه . ووراءه في هذا البحر على مسافات معلومة تماثيل أخرى في جزائر يرى بعضها مع بعض ، وهي التماثيل التي تدعى المحرقية ، بناها في سالف الزمان هرقل الجبار ، تنذر من رآها أن لا طريق وراءها ولا مذهب ، بخطوط على صدورها بينة ظاهرة ببعض الأقلام القديمة ، وضروب من الإشارات بأيدي هذه التماثيل تنوب عن تلك الخطوط لمن لا يحسن قراءتها . صلاحاً للمباد ، ومنفعاً لهم من التفرير بأنفسهم في ذلك البحر » . وكان الحكماء والجغرافيون من العرب ، يعرفون أن هذا البحر موصل إلى الهند . فقد جاء في كتاب السماء والعالم <sup>(٢)</sup> لأرسطو في الدليل على صغر الأرض أن الموضع الذي يدعى أصنام هرقل ، يختلط بأول حد من حدود الهند . ولذلك قالوا إن البحر واحد <sup>(٣)</sup> .

### رواد المحيط من العرب

واقتحام أبناء قحطان بحر الظلمات ، وركوبهم أهواله أمر لا مربية فيه ، وقد بسط الأب أنستاس الدليل على ذلك نقلاً عن هيرودوتس وعن استرابون . ونحن بدورنا نبسط الدليل نقلاً عن المصادر العربية .

جاء في مروج الذهب صفحة ٧١ في ذكر الكلام عن البحر المحيط « وله أخبار عجبية ، وقد أتينا على ذكرها في كتابنا ( أخبار الزمان ) <sup>(٤)</sup> في أخبار من غمره وخاطر بنفسه في ركوبه ، ومن نجى

(١) التيه والاشراف ص ٦٠

(٢) نقل هذا الكتاب ابن البطريق ، ولتاسطوس شرح الكتاب كله ، نقله وأصلحه يحيى بن عدى — أخبار الحكماء للقفلى ص ٣٠ .

(٣) التيه والاشراف ص ٦١ .

(٤) كتاب أخبار الزمان ، ومن أباده الحدائق ، من الأمم الماضية والأجيال الحالية والممالك الفائرة . هو أكبر وأهم كتاب يؤلف الجغرافي الكبير أبي الحسن علي بن الحسين السعدي ، التوفي سنة ٤٥٥ هـ . تمب كثير من الباحثين في التيقب عنه . ولا ريب أن فقدته خسارة كبيرة للعلم والبحث والتأريخ . ولا توجد منه — فيما نعرف — إلا نسخة واحدة خطية يلاذ شبيب بالصراف الأفريقية . والتنقيطون يفتنون بها على العلم والحقيقة والتأريخ . ترى متى يسمح الزمان بنشرها .

كروية . جاء في مروج الذهب <sup>(١)</sup> للسعدي : « ذكروا أن الأرض مستديرة ، ومركزها في وسط الفلك ، والهواء محيط بها من كل الجهات ، وأخذوا عمرانها من حدود الجزائر الخالدات في بحر أقيانوس إلى أقصى عمران الصين » و « علوا أن الشمس إذا غابت في أقصى الصين كان طلوعها على الجزائر العاصرة المذكورة التي في بحر إقيانوس . وإذا غابت في هذه الجزائر كان طلوعها في أقصى الصين . وذلك نصف دائرة الأرض ، وهو طول العمران الذي ذكروا أنهم وقفوا عليه » . ولمعنى إن هذا تحديد دقيق لما يعرف اليوم جغرافياً باسم نصف الكرة الشرق .

وقال السعدي أيضاً : « إن أقصى العمران في المشرق إلى حدود بلاد الصين والسيل إلى أن ينتهي إلى بحر أقيانوس المظلم المحيط . وأقصى عمران المغرب ينتهي إلى بحر أقيانوس المحيط أيضاً » <sup>(٢)</sup> .

فكان الأقيانوس المحيط كان — بحسب ما عرفوه — متصلاً من أقصى العمران في المشرق إلى أقصى العمران في المغرب . وهو ما يعرف اليوم جغرافياً باسم نصف الكرة الغربي . وتواترت الأخبار قديماً بأن بحر الظلمات هذا لا تدرك غايته ، ولا يعلم منتهاه . وأنه بحر لا تجرى فيه جارية ولا عمارة . جاء في كتاب الشريف الإدريسي <sup>(٣)</sup> — نزعة الشقاق إلى اختراق الآفاق — . « ولا يعلم أحد ما خلف هذا البحر المظلم ، ولا وقف بشر فيه على خبر صحيح ، لصعوبة عبوره ، وظلام أنواره ، وتعاظم موجه ، وكثرة أهواله ، وتسلط دوابه ، وهيجان رياحه . وبه جزائر كثيرة منها معمورة وغير معمورة » .

وكان يميز ما تواتر عليه الناس عنه ، أسطورة مأثورة عن قدامى اليونان تقول بأن هرقل بنى أعمدة من النحاس والحجارة . حداً بين بحر الروم والأقيانوس . وعلى أعلاها كتابه وتماثيل مشيرة بأيديها أن لا طريق ورأى لجميع الداخلين إلى ذلك البحر

(١) ص ٥١ .

(٢) وجاء في كتاب التيه والاشراف للسعدي في ذكر بحر أقيانوس ص ٩٥ « وأكثر نهاياته مجهولة عند بطليموس ( الفلوى صاحب المخطوط ) وغيره . فانه ينتهى من نهاية المارة في الشمال إلى أن يصير إلى المغرب . وينتفى إلى نهاية المارة في الجنوب . وليس له في غريبه ولا شماليه نهاية محددة . وفي هذا البحر الجزائر السمة طانية وهي اثنتا عشرة جزيرة . وتصل بحر الصين مما يلي الزايح وجزائر المهرج وشلاط ومهرج . الخ » .

(٣) ألف الشريف الإدريسي لروجر الثاني ملك صقلية كتابه في الجغرافية سنة ١١٥٨ هـ وقد نشر في أوروبا بعض قطع منه .



منهم ومن تلف ، وما شاهدوا منه وما رأوا » .

وإذا لم يحفظ لنا التاريخ قول السعوى في أخبار من ركب هذا البحر ، فقد ذكر لنا الإدريسي في كتابه الجغرافى النيس قصة الإخوة النورين أو النورين الذين خرجوا من لشبونة ، وضربوا في عرض المحيط ، ثم عادوا يقصون على الناس مشاهداتهم . ولعلهم حاولوا عبثاً إقناع القوم بوجود دنيا جديدة وآفاق جديدة ، وراء لبح المحيط ، فرماهم البعض بالنورين والبعض بالتغريب . قصتهم ولا ريب ، كانت معروفة قبل السعوى — والأرجح أنها وقعت في القرن الثالث الهجرى — التاسع المسيحى — وتناقلها الناس بعد ذلك فلتحقها شىء من التحوير والتبديل ، شأن جميع الروايات التى تجمى على الألسن وتدخل في عداد الأساطير . لذلك ستورد القصة كما استقاها الإدريسي من الأقوال في منتصف القرن السادس الهجرى — الثالث عشر الميلادى .

قال في كتاب — زهرة الشقاق إلى اختراق الآفاق — .

« من أمدنية لشبونة ، كان خروج النورين في ركوب بحر الظلمات ، ليعرفوا ما فيه وإلى أين انتهاؤه كما تقدم ذكرهم . ولهم بمدينة لشبونة بموضع من قرب الجح ، درب منسوب إليهم يعرف بدرب النورين ، إلى آخر الأبد . وذلك أنه اجتمع ثمانية رجال كلهم أبناء عم ، فأنشأوا مراكباً حبالاً ، وأدخلوا فيه من الماء والزاد ما يكفهم لأشهر . ثم دخلوا البحر في أول طاروس ( كذا ) الریح الشرقية . فخرجوا بها نحواً من ١٢ يوماً ، فوصلوا إلى بحر غليظ الموج ، كدر الروائح ، كثير القروش ، قليل الضوء ، فأيقنوا بالتلف . ثم فردوا قلاعهم في اليد الأخرى ، وخرجوا في البحر في ناحية الجنوب ١٢ يوماً ، فخرجوا إلى جزيرة النعم ، وفيها من النعم ما لا يأخذ عد ولا تحصيل ، وهى سارحة لا راعى لها ، ولا ناظر إليها . فقصدوا الجزيرة ، فزولوا بها ، فوجدوا عين ماء جارية وعليها شجرة تين برى . فأخذوا من تلك النعم فذبحوها ، فوجدوا لحومها مرة لا يقدر أحد على أكلها . فأخذوا من جلودها وأساروا مع الجنوب ١٢ يوماً إلى أن لاحت لهم جزيرة فنظروا فيها إلى عمارة وحرث . فقصدوا إليها ليروا ما فيها . فما كان غير بعيد حتى أحيط بهم في زوارق هناك . فأخذوا وحملوا في مراكبهم إلى مدينة على ضفة

البحر ، فأنزلوا بها في دار . فرأوا رجلاً شقراً زعماً شعور رؤوسهم بسيطة ، وعم طوال القدود ، وأنسابهم جلال عجيب .

فاعتقلوا فيها في بيت ثلاثة أيام ، ثم دخل عليهم في اليوم الرابع رجل يتكلم باللسان العربى ، فسألهم عن حالهم وفيما جاءوا ، وأين بلدكم ، فأخبروه بكل خبرهم . فوعدهم خيراً ، وأعلمهم أنه ترجمان الملك .

فلما كان في اليوم الثانى من ذلك اليوم أحضروا بين يدى الملك . فسألهم عما سألهم الترجمان عنه ، فأخبروه بما أخبروا به الترجمان بالأس من أنهم اقتحموا البحر ليروا ما به من الأخبار والعجائب ، ويقفوا على نهايته . فلما علم الملك ذلك ضحك ، وقال للترجمان : خبر القوم أن أبى أمر قيوماً من عبيده بركوب هذا البحر ، وأنهم جروا في عرضه شهراً إلى أن انقطع عنهم الضوء ، وانصرفوا في غير حاجة ولا فائدة تجدى .

ثم أمر الملك الترجمان أن يعدهم خيراً ، وأن يحسن ظنهم بالملك ففعل . ثم صرفوا إلى موضع حبسهم إلى أن بدأ جرى الريح الغربية ، فعمر بهم زورق ، وعبت أعينهم ، وجرى بهم في البحر برهة من البحر : قال القوم : قدرنا أنه جرى بنا ثلاثة أيام بلياليها ، حتى جىء بنا إلى البر فأخرجنا ، وكتبنا إلى خلف ، وتركنا بالساحل إلى أن تفناحى النهار وطلعت الشمس ، ونحن في منك وسوء حال من شد الأكتاف : حتى سمنا ضوضاء وأصوات ناس فصحننا بأجمعنا ، فأقبل القوم إلينا فوجدونا بتلك الحال السيئة ، فخلونا من وثاقنا ، وسألونا ، فأخبرناهم بخبرنا . وكانوا برابرة . فقال لنا أحدهم : أتملون كم بينكم وبين بلدكم ؟ فقلنا لا ، فقال : إن بينكم وبين بلدكم مسيرة شهرين . فقال زعيم القوم : وأسنى . فسمى السكان إلى اليوم أسنى ، وهو الرسى في أقصى المغرب »

والذى نستخلصه من رواية الإدريسي ، أن الإخوة الذين نعتوا ظلاماً باسم النورين أو النورين ، ركبوا البحر المحيط من لشبونة عاصمة البرتغال الحالية ، ف ضربوا في عرضه غرباً ، ثم انطلقوا نحو الجنوب ، فوطئوا أرض جزيرة بها غنم وتين برى ، بعد مسيرة أربعة وعشرين يوماً (؟) . ونحن نستبعد أن تكون جزيرة النعم هذه إحدى جزر اللازورد ( أزورد ) لأنها تقع غرب

عن أمرهم فقال : سارت السفن زمنا طويلا حتى مرض لها في البحر في ومعل اللجة واد له جرية عظيمة ، فابتلع تلك المراكب وكنت آخر القوم ، فرجعت بسفينتي . فلم يصدقه .. فجهز ألفى سفينة ، ألفا للأولاد ، وألفا للأزواد . واستخلفني ، وسار بنفسه ليعلم حقيقة ذلك . وكان هذا آخر العهد به . وعين معه « . فهل وصل هذا الملك المتأمر بقافلته المريضة المزودة إلى بر السلامة أم ابتلته ومن معه لجج المحيط ؟ لا أحب أن أقدم هذا الملك الجسور على اقتحام البحر كان من قبيل الظن بأن للمحيط غاية تدرك ، فربما كان لديه من الأنباء والوقائع مادعا أن يكذب مقدم السفينة العائدة ، ويركب أهوال البحر بألفى سفينة ليصل إلى غايته .

ومما ينلب على الظن أن كلبس وقف على خبر الإخوة النوردين ، وعرف أنهم هبطوا إحدى الجزر فيما وراء المحيط — ولعله كان على علم بنيا رحلة برندان — ولا جدال في أنه اطلع على ترجمات الكتب الجغرافية العربية التي تقول بكروية الأرض ، وبأن البحر المحيط موصل إلى الهند . ثم استطاع أن يتنقح الملكة إيزابلا ، وسار بسفنه الشراعية الثلاث في ٣ أغسطس سنة ١٤٩٢ متخذاً سبيله في المحيط غربا ، ثم جنوبا بغرب ، حتى وصل في ١٢ أكتوبر إلى جزيرة غواني هان ( التي عرفت فيما بعد باسم سان سلفادور ) وكان معاصريه لم يجدوا فيها آتى به بدعا ، ولم يروا فيه أول مقتحم لبحر الظلمات . فضرب لهم مثل البيضة المعروفة ، ومات في بلد الوليد عام ١٥٠٦ أسفا محسورا .

وبعد فهذه حقائق مستقاة من المصادر العربية ، ثبت أن أبناء يعرب جابوا بحر الظلمات قديما . على أن أخبار مقتحميه منهم وما شاهدوا منه وما رأوا لم تلق من الناس والمؤرخين الأقدمين اهتماما كبيرا . وهناك ولا ريب كثير من رواد المحيط الناطقين بالضاد ركبوا في قوافل بحرية كبيرة مثل ملك «مالى» ، بيد أنهم لم يجدوا من يؤرخ لهم . ولا ريب أن بعضهم حظ رحاله في ربوع أمريكا الوسطى وجزائرها . لذا لا نجب أن رأينا فيها كثيرا من الأسماء العربية المائدة إلى الحيوان والطيور .

دولت حسن الصغير

( الاسكندرية )

لشبوة لا إلى جنوبها الغربي ؟ ولأنها جزر مسكونة من قديم الزمان عرفها القرطاجنيون والنورمانديون والعرب ، كما جاء في دائرة المعارف الفرنسية . وقد هاجر إليها فريق من عرب أسبانيا بعد طردهم من الأندلس .

والذي نظنه ، هو أن هؤلاء الإخوة خطوا رحالهم في إحدى جزر برمودة أو جزر الانطيل ، إن لم يظعنوا إلى أحد أنحاء المكسيك ، بلاد التين البري « وفصائل الصير » ، والتي كانت ترخر بقطمان الماشية المروقة عند الغربيين باسم الباقالو . ( بالفرنسية Bison ) أو قطمان اللاما lama إحدى فصائل الأغنام الأمريكية . والذي استوقفنا فيما تواتر على ألسنة الناس في هذه القصة هو ذكر النعم والتين البري . أما النعم فكانت الدنيا الجديدة عامرة بقطمان الباقالو واللاما — وكاد النوع الأول ينقرض الآن لأن المستعمرين الأوروبيين أكثروا من صيده للاشتغال بجلده — وأما التين البري فتحسب أنه تعبير وصفي لفصائل العائلة الصبارية التي تنبت في أمريكا الوسطى عامة وسواحل المكسيك خاصة ، وهي مشهورة بها كنبهة مصر بنبيلها وأهرامها . أفصح لنا أن نظن أن ما هبط إليه الإخوة « المتأمرين » كان أحد أنحاء المكسيك التي منها يخرج تيار الخليج ويعرج فيها :

هذا رأى لا يحمل إلا على محمل الظن .. والله أعلم .

وهناك قصة لتأمر آخر اقتحم البحر المحيط ، ولا يعرف إلا الله مصيره ومن تبعه . في النصف الأول من القرن الثامن الهجري ( أوائل القرن الرابع عشر الميلادي ) يحدثننا ابن فضل الله العمري في كتابه مسالك الأبصار في ممالك الأمصار عن الملك موسى بن أبي بكر أحد ملوك «مالى» في السودان الغربي ، وكان معاصرا لصاحب مسالك الأمصار في أيام الملك الناصر بن قلاوون . قال « قال ابن أمير حاجب وإلى مصر ، عن الملك موسى بن أبي بكر : سألت عن سبب انتقال الملك إليه فقال : إن الذي قبل كان يظن أن البحر المحيط له غاية تدرك . فجهز مئين من السفن ، وشحنها بالرجال والأزواد التي تكفيهم سنين ، وأمر من فيها ألا يرجعوا حتى يبلغوا نهايته ، أو تنفذ أزوادهم . فتأبوا مدة طويلة ، ثم عاد منها سفينة واحدة ، وحضر مقدها ، فسأله

## يوحنا الدمشقي

JOHANNES DAMASCENUS

للدكتور جواد علي

تمة



ومن آراء هذا القديس أن النبي الكريم كان قد تلقى تعاليمه من أحد أتباع «آريانس» "Arianers" "Arius" (المتوفى سنة ٣٣٦ للميلاد) والذي كان قد أسكر ألوهية المسيح فخرمه مجمع نيقيا "Nikāa" الذي انعقد في عام ٣٢٥ للميلاد ، ثم أكد هذا التحريم المجمع (Synod) الثاني الذي انعقد في القسطنطينية . وكان من أشد خصومه (أثناسيوس) Athanasius رئيس أساقفة الاسكندرية القائل على العكس بألوهية المسيح<sup>(١)</sup> . وهو قول ردد صداه المشرقيون فيما بعد : وقد فاتهم بأن البدعة «الأريوسية» أو «الآريانية» لم تكن معروفة في البلاد العربية ، فلا يمكن أن يكون الرسول قد تعرف إلى أحد من أتباع هذه الشيعة . وقد فاتهم أيضاً بأن النسبة إلى «الأريوسية» كانت شائعة بين الفرق النصرانية ، فكانت كل شيعة من الشيع النصرانية تنسب الشيعة المعارضة لها إلى هذا الإسكندري الذي حرّمه مجامع المسيحيين . وقد سلك يوحنا في مواضع من ميامره مع «النوفيسيتين» والمعارضين الآخرين نفس هذا السلوك ، ونسبة دراسة النبي على أحد «الآريانيين» — وهو قول واهٍ لا تؤيده الشواهد التاريخية — هو من هذا القبيل<sup>(٢)</sup> .

وخلاصة ما يمكن أن يقال ، هو أن يوحنا كان قد خاف على دينه من الزوال ، وهو رجل دين وصاحب عقيدة ، وأنه وهو في بلاط خليفة دينه يخالف دينه عرضة للنقاش في الدين وهدف للجدال كما كان يحدث ذلك دوماً لكل ذي بتولي مركزاً سامياً في قصور أمراء المسلمين . وقد ساء ما رآه من دخول أبناء دينه أفواجا أفواجا في الإسلام ، فأراد أن يضع لهم منهجاً ثابتاً في

الكلام وطريقاً واضحاً لإخوانه من أبناء دينه كما يفهم ذلك من ميامره ومن كتابه الذي ألفه في الرد على المسلمين . وغريب أمر أولئك الذين يتصورون بأن المسلمين الأولين كانوا كالحجارة الصم لا يحسنون سؤالاً ولا يدرون جواباً . وفي القرآن الكريم والحديث الشريف والسير والغازي والأخبار أسئلة وأجوبة مختلفة في مسائل الكون والعالم والبعث ويوم الدين والأفعال والأعمال والخطير من الدنيا والحقر ، وهم إن شكوا في كل شيء ، فلن يستطيعوا الشك في صحة القرآن وفي صحة روايته كما كان ينطق به الرسول . والقرآن وحده كفيلاً وخيراً شاهد على صحة ما نقوله .

ولا عبرة ببعض ما ورد في بعض الكتب مثل ما جاء في «كنز العمال» من أن القديسين سموا بهذا الإسم لأنهم «اشتقوا قولهم من النصاري» أو عبارة «اشتقوا قولهم من قول النصاري»<sup>(١)</sup> إذ ورد في الأخبار «القدريه مجوس هذه الأمة»<sup>(٢)</sup> .

ولو ذهبنا مذهب بعض المشرقيين - ومذهب أهل الرأي والقياس لوجب علينا أن نقول بأن القدريه أخذت قولها هذا من المجوس ، وهو قول يناقض المعروف ؛ إذ المعروف بأن المجوس كانوا يقولون بالجبر لا بالاستطاعة والاختيار .

الحق أن ما ذكره يوحنا وما بنى عليه بعض المشرقيين هو من قبيل «الأفكار العامة» التي تخطر على كل بال ، من قبيل تلك الأفكار التي تردت على عقول البشرية منذ أول يوم هبوطها على سطح الأرض حتى اليوم . إنها من قبيل الأفكار العامة التي عالجتها أدمغة الوثنيين كعالجتها أدمغة أصحاب الأديان بل وحتى الشعوب الابتدائية والتبائيل البدوية ، وما كان ظهور مثل هذه الأفكار في الإسلام بمحدث غريب وقد عالج الإسلام أموراً أعقد من المواضيع التي نتحدث الآن فيها بكثير .

ولنمد الآن إلى الموضوع . ظهرت في الإمبراطورية البيزنطية المسيحية وفي ردهات المسيحية فكرة غريبة هي فكرة «تحرير الصور» (Ikonoklasten) وقد انتشرت هذه الفكرة بسرعة كبيرة في سوريا وفي مصر وفلسطين . فتحطمت الصلبان وأحرقت

(١) راجع كنز العمال ج ١ ص ٣٦ نمرة ٦٦٨ و ٦٥٢ ، كذلك Islam Studies. Part. 1, p. 441.

(٢) راجع مختصر كتاب الفرق بين الفرق وهو حديث ص ١٦

(١) راجع فيه Leary, Arabic Thought and its Place in History p. 27, London 1939.

(٢) Islam Studies. Part. 1, pp. 433, M, 94, 765

لفظة « تصاليب » بدلا من « تصاوير » ، قال القسطلاني : « تصاليب أى تصاوير كصليب النصارى »<sup>(١)</sup>. وهذا ما يجعل للمشكلة صلة بالمشكلة التي أثارها « الامبراطور ليو » في الامبراطورية البيزنطية . وبلاحظ أيضا بأن يوحنا لم يتحامل في رسائله التي ألّفها للدفاع عن الصليب والتصوير على المسلمين كتحميله على اليهود . على عكس ثيودور أبوقرة أحد تلاميذه الذين احتذوا حذوه ومنهجوا منهجه ، فلقد تحامل هذا على المسلمين تحاملا شديداً وعنفهم تنيفاً مرأاً لأنهم كانوا سبب هذا التحريم<sup>(٢)</sup>. لم تنفع هذه الحملة الصليبية التي أثارها هذا الموظف المسيحي في بلاط أمير المؤمنين في الشام شيئاً . قد يكون يوحنا نجح بعض الشيء في إثارة جذوة نار تلك المشاكل الكلامية التي ظهرت قبله بزمان وفي صلبها في جداله مع المسلمين نقاب منطقي يوناني أثر على أسلوب الكلام عند المسلمين ، ولكنه فشل في الحيلولة بين المسيحيين السوريين وبين الاسلام وآثر يوحنا وهو في أواخر حياته الاعتزال في دير من أديرة الدنيا النائية ليوجه تفكيره نحو خلقه ، فاختار دير « القديس سابا » (St Sabas) قرب القدس ليكون محله المختار<sup>(٣)</sup>. وقد ظل في هذا الدير إلى أن جاءه أجله المحتوم بين عامي ٧٤٨ و ٧٥١ للميلاد على أكثر الروايات<sup>(٤)</sup>.

مصادر على

التصاوير ، ونادى الناس حتى في الإمبراطورية البيزنطية بأن الصور والصليبان والزخرفة رجس من عمل الوثنية والشیطان<sup>(١)</sup>. وشاعت أسطورة ذكرها ثيوفانس ( Theophanes ) خلاصتها أن أحد اليهود ، وكان يكره النصارى ، تمكن من إقناع الخليفة يزيد الثاني بضرورة تحطيم الصليبان وتمزيق التصاوير كي يطول عمر الخليفة<sup>(٢)</sup>. فأصدر الخليفة أمره في الحال بوجوب تحطيم كل ما هو موجود من صليبان النصارى . ويدكرون أيضاً بأن إمبراطور القسطنطينية ، وهو الإمبراطور « ليو » تأثر بعد ذلك بأفكار أحد السريان ، وكان قد وقع في أسر المسلمين ، فاعتنق الاسلام وسمى نفسه « بشراً » « بسر » Baser وغدا من أعداء الصليبان والتصاوير ، وكان ذلك في عام (٧٢٦) للميلاد<sup>(٣)</sup>.

عندئذ أصدر الإمبراطور أمره في عام ٧٢٦ للميلاد بتحريم الصليبان والتصاوير . وقد نفذ الأمر الإمبراطوري الرسمي في كافة أنحاء الامبراطورية البيزنطية ، وتبرع صاحبنا يوحنا من هذا الأمر الملكي الرسمي واعترض عليه بست رسائل ألّفها تقنيدياً لهذا الأمر ولئن قال بهذه البدعة من أتباع الملوك .

وفي هذا التحريم أصل إسلامي ملموس وإجابة للدعوة التي الكرم ، تلك الدعوة التي حققها يوم أمر بتحطيم أصنام الكعبة وأصنام الطائف وكل صنم آخر قائم . ذلك ما قاله نفر من المستشرقين<sup>(٤)</sup>. على أن هنالك جماعة أخرى رأت غير هذا الرأي ؛ رأت أن هذا التحريم مصدره تلك الفكرة اليهودية التي كانت قد حرمت تصوير المخلوقات الحيّة وقاومت التصوير مقاومة عنيفة . وقد انتقلت هذه الفكرة إلى المسلمين وانتقلت على زعمهم من المسلمين إلى المسيحيين<sup>(٥)</sup>.

وتطرف هؤلاء فقالوا بأن الأحاديث التي رويت عن لسان الرسول ، والتي حرمت التصوير ، إنما ظهرت في هذا العهد الذي أعلنت الحكومة البيزنطية فيه أمرها بتحطيم الصليبان .

ورد في الحديث : من صور صورة في الدنيا كُلف أن ينفخ فيها الروح يوم القيامة وليس بنافخ<sup>(٦)</sup>. واستعمل بعض المحدثين

(١) راجع هذه المادة في دائرة المعارف البريطانية وفي دائرة المعارف القبطية

(٢) Theophanes Edition de Boor 401 29. راجع

(٣) Michel le Syrien, Livre, XI p, 503 راجع

(٤) Islam Studies part I p, 446.

(٥) Levett, History of the Patriarchs of the Coptic 3, 72

(٦) كنز العمال ج ٢ ص ٢٠٠ القسطلاني ٨ ص ٤٨١ الزرقاني

على الموطأ ٤٠ : ٢٠٤ .

(١) القسطلاني ج ٨ ص ٤٨١ .

(٢) ثيودور أبو قرة " Theodore Abucara " أو ثاودوروس

أبو قرة ( ويرى أيضاً أبو قارة ) . أسقف حران ( ٧٠٠ - ٨٢٠ للميلاد )

من أعظم الكعبة الكنعانيين وأبرعهم في الصفات الجدلوية والأبحاث الدينية .

وعمر أبو قرة في عهد المأمون راجع عنه كتاب المخطوطات العربية لكعبة

النصرانية للأب لويس شيخو اليسوعي بيروت ١٩٠٤ ، أيضاً المشرق

سنة ١٩٠٣ - ٦٣٣ ، كذلك مياسر ، وقد طبعا الحوري قسطنطين الباسا

أحد رهبان دير الخلمس . مطبعة الفوائد لصاحبها خليل البدوي في بيروت .

أيضاً المتحف البريطاني رقم Or. 4240 كذلك R. A. Nicholson

History of the Arabs p, 221 Cambridge, 1931

وجاء في ضحى الاسلام ج ١ ص ٣٤٤ طبعة أولى . أبو كارا ، كما جاء

في الأحرف اللاتينية والصواب « أبو قرة » أو « أبو قارة » . كما جاء ذلك

في مياسر نفسها . راجع كتاب مياسر ثاودوروس أبو قرة .

(٣) راجع Hibt, History of the Arabs, p, 246 3

Edition 1943.

(٤) يقول Qailhe إنه توفي في ٤ ديسمبر من عام ٧٤٩ للميلاد . أما

كتاب فيليبس غواني عام ٧٤٨ وأما كراف Graf الذي كتبته وأخرج

مصفاته فيرى أن حياته كانت بين عامي ٧٤٠ - ٨٢٠ للميلاد ، أى بين عامي

(١٢٣ - ٢٠٥ "مجرة" راجع Islam Studies 1, p, 434 Migne

Palrobog Graec وجاء في حاشية ص ٢٤٨ من الجزء الأول من ترات

الاسلام الترجمة العربية (١٩٢٦) وكان (أى يحيى أو يوحنا) مولد المأمون

وهو خطأ لا أدري من أين جاء به مغرب الكتاب . فأغلب الظن أنه

لم يدرك ما قبل عهد خلافة المأمون .

## سياسة التعليم ووحدة الأمة

الأستاذ عبد الحميد فهمي مطر

- ٢ -

—•••••—

لم يقتصر أمر التمدد في معاهد المرحلة الواحدة من التعليم مع ما يصحبه ذلك التمدد من اختلاف ثقافات المدرسين على تعليم البنين ، بل سرى نفس الداء إلى معاهد البنات كذلك . خصوصاً في المرحلة الثانية منها حيث وجدت مدارس الفنون الطرزنية ومدارس الثقافة النسوية والمدارس الثانوية والأوليات الراقية والتربية النسوية ومدارس المعلمات الأولية وغيرها ، وحيث وجدت في هذه المدارس طوائف مختلفة ثقافات من المعلمين والمعلمات اللواتي تخرجن في مدارس التدبير بأنواعها والتعليم العام الإضافي ومدرسة المعلمات والسنية ومعهد التربية والفنون إلى غير ذلك مما أدى إلى تفكك تعليم الفتاة بسبب تعدد المعاهد وعدم انسجامها وقلة توافقها وترباطها ، فخلقنا جواً ملائماً لكل الملاءمة لتفاوت الطبقات في معاهد البنات كما سبق أن خلقناه في معاهد البنين مع أن الوظيفة الأساسية للمرأة في الحياة تكاد تكون محدودة معروفة وهي طبعا الزوجية والأمومة . وكان لهذا كله أثره القوي الفعال في خلق التنافر والتقصاء على التعاون بين الأفراد المثقفين من أبناء الأمة الواحدة وبنائها ذلك التعاون الذي هو أساس بناء وحدتها وعماد نهضتها في كل أعمالها ومشاريعها التي تنهض بها الجماعات والطوائف المختلفة .

ولقد بدأ الاضطراب في سياسة إعداد المعلمين والمعلمات لتعليم العام في هذا البلد منذ ألغيت المدرسة السنية للمعلمات ومدرسة المعلمين العليا التي خرجت في نحو ربع قرن من الزمان عدداً كبيراً من رجال التعليم اضطلموا ولا زالوا يضطلمون بأكبر قسط في تثقيف الناشئين في مختلف المدارس والمعاهد . ولم تستطع مصر مع الأسف أن تحصل على ما يسد فراغ هاتين المدرستين ؛ فعمد التربية العالي بشقيه الذي قام على أبقاضهما ليمد معلمين ومعلمات لتعليم العام لا يلتحق به إلا طابا منته من الدراسة في إحدى كليتي الآداب أو العلوم بالجامعة . وأتى لطلاب

منته في إحدى هاتين الكلتين راغب في ولوج معتزك الحياة العامة بعد الدراسة الطويلة أن يفكر في اعداد نفسه من جديد ليكون معلماً ! أنى له ذلك وحظ المعلمين من متع الحياة ومتع الوظيفة ضئيل لا يقدم عليه إلا من أكرهته الظروف للالتجاء اليه ! لهذا كان الانصراف عن المعهد خصوصاً من خريجي كلية العلوم الذين تتخاطفهم الشركات . ولهذا بقى هذا المعهد سنين طويلة وعدد خريجيه من قسم الرياضة والعلوم لا يتجاوزون عدد أصابع اليد الواحدة . ولهذا وجدت في مصر أزمة شديدة في الحصول على هذا النوع من المعلمين . ثم أننا لم نواجه الأزمة مع الأسف بما تستحقه من عناية فوقتنا لزاءها مكتوف الأيدي ننظر كل عام ما يجود به المعهد من خريجين قليلين حتى اصطدمنا بالحقيقة الراحنة المؤلمة الخاصة بعدم وجود المعلمين الضروريين للمعاهد التي تنشأ وللاء الوظائف التي تخلو ، واضطررنا إلى حل تلك الأزمة بحلول سريعة غير موفقة كالاستعانة بغير الفنيين من حملة البكالوريا وغيرهم . وزادت بذلك هوة الخلافات في ثقافات القائمين على أمر اعداد النشء وتثقيفهم كما هو مستوى التعليم نفسه هوبا كبيراً . ولما أحسنا بذلك أخذنا نعالجه بعلاجات وقتية ضئيلة الأثر كالندروس الصيفية لغير الفنيين وما إلى ذلك . ثم جاء تقرير عناية الابتدائي وما تبعه من إقبال أبنائنا على هذا التعليم ضئلاً على أباله ، إذ اضطررنا إلى التوسع فيه دون أن نعمل أى ترتيب لايحاد المعلمين الضروريين . وأصبح المدرس يواجه أمامه عدداً كبيراً من التلاميذ لم يسبق له مثيل في الفصل الواحد حتى أصبح عسيراً على المدرس الفنى أن يسوس هذا الحجم التفرير أو أن يفيدهم ، فما بالاك بالمدرس غير الفنى أو المدرس الضعيف أو المدرس البتدى قليل الخبرة ! أنها لحالة تستدعى الاهتمام وتستدعى الملاج . إن مسألة العلم الكفء ذى الضعير الحى هى أول ما يجب أن تفكر فيه الدولة الرشيدة الحريصة على مستقبل أبنائها وتربيتهم وثقافتهم قبل أن تخطو خطوات واسعة في نشر تعليم مشكوك عند الكثيرين في صلاحيته من حيث نوعه ونظامه واتجاهه . وإن التفكك والانهيار القائم في كثير من المعاهد بسبب وجود عناصر متعددة من المعلمين ذوى الثقافات المختلفة والآراء المتنافرة التي لا يمكن أن توحى بالانسجام والتعاون لكفيل بأن يبقى حالة المدرسة المصرية بيئة كل البمد عن الأخذ بأساليب التربية الحديثة معها

إن أماننا مثلاً رائعاً نحسه ونلسه بين أيدينا اليوم بوضع لنا أثر الثقافة الموحدة في بناء كيانات وحدات الأمة وتدعيمها وتقويتها . ذلك المثل هو جامعة فؤاد الأول بمختلف كلياتها . فقد ظن البعض في مبدأ تكوينها أن لا فائدة تترجى من الجمع بين عدة مدارس عالية وجعلها كليات في جامعة واحدة . فإن ما يدرس في كلية الهندسة اليوم مثلاً هو ما كان يدرس في مدرسة الهندسة قديماً مضافاً إليه التطور الذي أوجده الزمن في فنون الهندسة الحديثة . وكان من الممكن البقاء على مدرسة الهندسة القديمة مع ادخال ما استدعاه التطور الحديث فيها .

سواء كان ذلك ممكناً وتبقى كلية الهندسة مستقلة كل الاستقلال بل ميدة كل البعد عن كلية الحقوق وعن غيرها من الكليات الأخرى . كل ذلك صحيح ، ولكن أنى يكون لنا عندئذ بفكرة الوحدة الهائلة العظيمة التي تضم عدداً كبيراً من الكليات تحت لوائها في إدارة واحدة يشرف عليها جميعاً مدير واحد يضم شتاتها ويوحد صفوفها لتسير في اتجاهات متوازية إلى غرض واحد ؟ أنى يكون لنا عندئذ بتلك الوحدة الجامعية التي تضم الآلاف المؤلفة من شبابنا تحت لواء واحد يعملون جميعاً في تلك الصفوف المتوازية المتقاربة المتعاونة سائرة في اتجاه واحد لا يصطدم بعضها ببعض ولا يتعارض بعضها مع بعض إلى هدف واحد تهو إليه مصر كلها وتنزله المنزلة الأولى من قسمها وتضعه في النهاك الأعلى من آملها ؟ فلا شك إذن أن فكرة للوحدة الجامعية فكرة رائدة توحى إلى الشباب بالوحدة والقوة وتقضى على كثير من تلك الخلافات السخيفة التي يؤدي إليها اختلاف الثقافات . فهي مكسب هائل وريح عظيم ربحته مصر فدفعتها بنجاحها في الحصول على هذا الكسب أن خلقت في العاصمة الثانية أختاً للأولى تشاركها في مسئولياتها وتسير في نفس اتجاهاتها مما سيؤدي إن شاء الله إلى خلق غيرها وبغيرها بفضل توفر البحث وتضافر الجهود .

نسأل الله أن يسد خطى العاملين لرفع شأن الثقافة وتوحيد اتجاه التعليم ومقاصده للنهوض بالناشئين أبناء الجيل الحاضر مهوياً يتناسب مع مركز مصر بين أم الأرض عامة وبين أم الشرق والعروبة خاصة في ظل جلالة الفاروق العبدى .

عبد الحميد فهمى مطر

دعونا إليها ومهما نبهنا إلى ضرورتها ومهما حاضرنها فيها . ذلك لأن عناصر المعلمين المتعددة المتنافرة لا يمكن أن تجد من تنافرها الوقت ولا أن تملكها روح التوفير على البحث والعمل للصالح العام ، فكل منها لاه بنفسه وبمستقبله الخاص وبالتعصب لثقافته وبالنظور على غيره . وهي أمور كلها تزيد في هوة الخلاف المؤدى إلى التفكك والانحلال ؛ وسيمتد ذلك التفكك والانحلال دائماً وبطبيعة ما للمدرسة من أثر في التكوين ، إلى طبقات الأمة المختلفة خصوصاً منها أولئك الذين يتولون أعمالاً موحدة ومرافق ذات غايات واحدة . ولن يمكن القضاء على تلك الخلافات وتوحيد الاتجاهات إلا بتوحيد الثقافات . ولن يتم لنا ذلك إلا بإيجاد المدرسة الموحدة التي تعد المعلمين الذين يقومون بتدريس مختلف العلوم في مدارسنا . أما وقد قضى على مدرسة المعلمين العليا من زمن بعيد فلا شك في أن الصلحة تقضى بأدماج دار العلوم ومعهد التربية بعد تعديل شروط الالتحاق بهما وجعلها معهداً واحداً لأعداد معلمى المواد المختلفة . وإنا نسوق هذا الاقتراح للرجال المسئولين خصوصاً بعد تلك البحوث القيمة التي أجراها مؤتمر أساليب التربية الحديثة والتي تبين منها « أن الأمر يتطلب معلماً يفهم روح التربية وأهدافها فهما وانحما ويؤمن بها إيماناً قوياً يدفعه إلى الجهاد في سبيل تحقيقها » كما جاء في القرار الثانى من قرارات المؤتمر . ولا شك أن هذا المعلم النموذجى لن يتدفع إلى ذلك الجهاد إلا إذا تعاون معه زملاؤه وأمن كيد عناصر أخرى تؤذيه في جهاده وقد تحاربوه وقد لا تقدره . والمعلم الموحدة الثقافة هو المعلم الوحيد الكفيل بالانطلاق بهذا الجهاد في سبيل تحقيق المذهب المطلوب . يقول أحد قادة التربية النريين « أعطى المعلم الكفاء وآركه بغير برامج يخرج لك من النشء رجالاً . أما البرامج التي لا يقوم على تنفيذها المعلم الكفاء مهما حنت فانها لا تخرج إلا أطفالاً كباراً أشباه الرجال وما هم رجال » فسألة المعلم الكفاء الذى يفهم مهمته ويفهم روح التربية وأهدافها والذى يتعاون مع زميله على قدم المساواة لا بينهما من تجانس في التعليم والثقافة ، وتوافق في الاتجاه والاحساس بالمسئولية هي مسألة السائل ومشكلة الشاكل في مصر . وقد أظننا المؤتمرون جل اهتمامهم لأنها لا يسمح أن تتجاهلها أية هيئة تعليمية



## محمد بن عبد الملك الزيات

للأستاذ عبد الطيف ثابت

—»»»»»—

جلس عبد الملك بن أبان بن أبي حمزة إلى والده محمد يحدثه عن  
تجارة الزيت ، و يروي له من تجاربه ، ويصف له مشاهد المتعة  
في رحلاته التي كانت تنتهي بذكائه وصبره وجراته إلى التوفيق ،  
إذ كان يجلب الزيت من مواضعه إلى بغداد ، فيثري من وراء ذلك  
ثراء عظيم ، وبعد لما جمعه من المال في تجارة الزيت من مياسير  
الكرخ ، وينصحه في لهجة الماطف الخاني أن يحذو حذوه ،  
ويسلك مسلكه ، فيتعلق بالتجارة ويتشغل بها ؛ ولكن الفتى  
وقد سمع به همته ، وطمح إلى ما لا يطمح إليه السوق الذي  
تشغله التجارة وملازماتها عن قصد المالى — يأبى أن يصنى إلى  
حديث أبيه إلا بتقدير أن يسمعه ، فيجيب عنه بإياه يؤكد أنه  
لا يشتغل إلا بالأدب وإلا بما هو من وسائل الأدب ، لأنه يحس  
من نفسه بدوافع تدفعه إلى ما لا يرمقه إلا كل ذى همة وثابة ،  
ونفس تطمح إلى العلاء .

وها هم أولاء لدائه يشهدون له بكفائته في العلم والأدب ،  
ويثنون على ذكائه وقوة إدراكه وسرعة بديهته ، ومقدرته على  
حل ما يشكل عليهم من مسائل العلوم لا في النحو واللغة فحسب ،  
بل فيهما وفي غيرها من سائر العلوم . وهذا أبو عثمان المازني وقد  
عرفه لما قدم بغداد في أيام المتصم يقول لأصحابه وجلسائه ، إذا  
خاضوا بين يديه في علم النحو فاختلفوا فيما يقع فيه الشك — ابشروا  
إلى هذا الفتى الكاتب ، يعنى محمد بن عبد الملك الزيات ، فأسألوه  
واعرفوا جوابه فيقولون ، ويصدر جوابه بالذى يرتضيه أبو عثمان  
ويوقفهم عليه . فهذه الثقة من آرائه وغيرهم من أبناء عصره ،  
تدفعه في قوة أن يخالف أباه عبد الملك ويراعه ، فيترجم الأدب  
ويطلبه ويخاطب الكتاب ، ويلتزم الدواوين ، ويجيب أبيه في قوة  
الوائق المثلثين — وقد قال له ذات يوم : والله ما أرى ما أنت

ملازمه بنفك ، وليضرنك ، لأنك تدع عاجل النعمة ، وما أنت  
فيه مكثى ، ولك ولأبيك فيه مال وجاد ، وتطلب الآجل الذى  
لا تدرى كيف تكون فيه . فيجيبه : والله لتعلمن أبنا ينتفع بما  
هو فيه أنا أم أنت ؟ ثم بشخص بسد قليل إلى الحسن بن سهل  
وزير المأمون ، فيمدحه بقصيدة أولها :

كأنها تدنى خطوها أخسر موسى المشوى رعى الغلل  
فيعطيه الحسن عشرة آلاف درهم ، فيعود إلى أبيه فثراً منتصراً ،  
فيتسم أبوه في رضا ، لأنه تاجر يسهل أن يرى الدرهم والدينار ،  
ثم يقول له لا ألومك على ما أنت فيه . ولكن محمد بن عبد الملك  
لا يقنعه أن يصله الحسن بعشرة آلاف درهم ، إذ ليس ذلك قصارى  
غايته مما تطمح إليه نفسه ، بل يطلب أن يمثل بين يدى الوزير  
فيؤذن له ، فينشده :

لم أمتدحك رجاء المال أطلبه لكن لتبسنى التحجيل والغرور  
وليس ذلك إلا أننى رجل

لا أطلب الورد حتى أعرف الصدر  
فيقدره الحسن قدره ، ويعترف له لأنه شاعر مجيد لا يقاس به أحد  
من الكتاب إلا إبراهيم بن عباس الصولى . على أن الصولى مقل  
وصاحب قصار ومقطعات ، ومحمد بن عبد الملك شاعر بطيل فيجيد  
ويأتى بالقصار فيجيد .

ويأتى إلا أن يصل إلى الناية في أن يأخذ الحجة على أبيه  
بصدق نظره وصحة رأيه فيما هو يرى إليه من الاشتغال بالأدب ،  
فينتجز فرصة وافته بادر إلى انتراسها ، فردبها حقاً لأبيه كاد  
بضيع : ذلك أن إبراهيم بن المهدي وتب على الخليفة المأمون ، ولما  
لم يكن لديه من المال ما يعبئه على أمره ، اقترض من مياسير التجار  
ما هو في حاجة إليه من المال ، وأخذ من عبد الملك بن أبان فيمن  
أخذ عشرة آلاف درهم ، وقال له : أنا أردتها إذا جاءنى مال ، ولم  
يم أمر إبراهيم ، فاستخفى حيناً ثم ظهر ، ورضى عنه المأمون ،  
فطالبه الناس بأموالهم فقال : إنما أخذتها للمسلمين وأردت قضاءها  
من النية لو تم لى الأمر ، والأمر الآن إلى غيرى .

ويرد على الخليفة من بعض عماله كتاب يقرؤه الوزير عليه ، وكان في الكتاب ذكر الكلا ، فيأنه المتصم : ما الكلا ؟ فيقول : لا أعلم ، وكان قليل المعرفة بالأدب ، فيقول له المتصم : خليفة أي ، وزير عاى ! وكان المتصم ضيف الكتابة ، ثم يأمر أن يصروا من الباب من الكتاب ، وتشاء الأنداد التي تسر كل إنسان لما خلق له ، أن يكون بالباب محمد بن عبد الملك الزيات ، ويدخلونه إلى الخليفة فيسأله : ما الكلا ؟ فيجيب : الكلا المشب على الإحلاق ، فإن كان رطباً فهو الحلا ، فإذا يس فهو الحشيش ، ثم يشرع في تقسيم أنواع النبات فيعلم المتصم فضله فيستوزره ويحكمه ويسط يده .

ويبلغ الفتى بالوزارة الثروة مما كان يطمح إليه ، فيعلو شأنه وتنفذ كلمته ، ويدل بما عرف عنه من العلم والفضل فيشترط إذا بتولى الوزارة ألا يلبس القباء وأن يلبس الدراعة ويتقلد عليها السيف بمحاثل فيجانب إلى ذلك فيمتار بهذا أينما عما سبقه من الوزراء .

ويبدو في وزارته شديد البأس ، عظيم المنة ، قوى الإرادة قاسى القلب ، لا تعرف الرحمة إلى قلبه سيلا بل هو يرى الرحمة خوراً في الطبيعة وضعفا في المنة ويقول عن نفسه مارحت شيئا قط . ولا يقف في حقه دون نكبة من يحقد عليه ، غير مبال بصروف الزمان وتقلب الدهر . اتخذ في أيام وزارته تقورا من حديد في داخله مسامير محدودة قاعة كركروس المسال يمتد فيه المصارين وأرباب الدواوين المطولين بالأموال فكيف انقلب أحدهم أو تحرك من حرارة العقوبة تدخل المسامير في جسمه فيجد لذلك أشد الألم ، حتى إذا جأر إليه المعاقب يطلب الرحمة أجابه بكلمته السابقة إن الرحمة خور في الطبيعة :

ومن يتصف بمثل صفاته هذه ويكون في مثل شأنه هذا يكثر حساده ويشدد عليه أعداؤه .

ومن هم حساده وأعداؤه ؟ إنهم عظماء الرجال في عهده : كالقاضي أحمد بن أبي دؤاد ، ومحيي بن خلفان ، وإبراهيم

وعلم محمد بن عبد الملك بقصة القرض ، فعمل قصيدة يخاطب فيها المأمون بما يوقظ موجدته على إبراهيم بن المهدي ، واطلع ابن المهدي عليها ، وقال له : لئن لم تعطى المال الذي اقترضته من أبي لأبشن بهذه القصيدة إلى المأمون ، فخاف ابن المهدي أن يقرأها المأمون فيتدبر ما قاله فيوقع به ، فقال له : خذ مني بعض المائ ونجم على بعضه ، ففعل بعد أن حلفه إبراهيم بأوكد الإيمان ألا يظهر القصيدة في حياة المأمون ، فوفى له بذلك ، ووفى إبراهيم برد المال كله . ويسر أبوه بهذا كله وبموجب ، ومن هذه القصيدة ما يأتي :

فو الله ما من توبة نزعته به إلى الله زلفى لا تخيب ولا تكدى  
ولكن إخلاص الضمير مقرب أتانك بها طوعاً إليك بأفقه  
على رغبة واستأثر الله بالحمد فإليك مجزى بحسب الذي تسدى  
فلا تترك للناس موضع شبهة ومن ليس للصور بان ولا الهدي  
فقد غلطوا للناس في نصب مثله يبعته الركبان غوراً إلى نجد  
فكيف عن قديمايع الناس والتفت ينادى به بين الساطين من بعد  
ومن سك تسليم الخلافة سمعه فقارنها حتى يغيب في المجد  
وأى امرئ سعى بها قط نفسه ومنها :

فان قلت قد رام الخلافة غيره فلم يؤت فيما كان جاول من جد  
فلم أجزه إذ خيب الله سعيه على خطأ إذ كان منه على عمد  
ولم أرض بعد الفوحتى رفعت وللهم أولى بالتقصم والرفد  
فليس سواء خارجي رى به إليك سفاه الرأي والرأى قديردي  
ومن هو في بيت الخلافة تلتقى به وبك الآباء في ذروة المجد  
فولاك مولاه وجندك جنده وهل يجمع القين الحاسمين في غمد  
ويظهر لما اشتهر به من العلم والفضل والبراعة في الأدب أثره ، فينتظم في سلك الكتاب بديوان الوزارة ، ويظل يعمل لا يزيد على غيره من الكتاب شيئاً ، ولا يمتاز عنهم بشيء إلا بما وهبه الله من علم وأدب .

ويتولى الوزارة للمتصم أحمد بن عمار بن شاذى البصرى ،

ابن العباس بن محمد بن سول ، وعلى بن جبلة ، وأبي دلف القاسم  
ابن عيسى :

كتب إليه علي بن جبلة يقول ، وكان قد قصد أبا دلف في  
بعض أمره :

يبائع الزيت عرج غير مرموق      تشغلن عن الأبطال والسوق  
من رام شتمك لم يزع إلى كذب      في منامك وأبداء بتحقيق  
إن أنت عدت أصلاً لا تسببه      يوما فأملك متى ذات تطليق  
ولن تطيق بحول أن تزيل شجا      أثبتت منك في مستزل الريق  
الله أنشاك من نوك ومن كذب      لا تطفن إلى لؤم مخلوق  
ما ذا يقول امرؤ غناك مدحت      إلا ابن زانية أو فرخ زنديق  
فاجابه محمد بن عبد الملك

اشمخ . بأفك ياذا السوء الأدب

ما شئت واضرب هذاك الأرض بالذنب  
ما أنت إلا امرؤ أعلى بلاغته      فضل المذار ولم يربع على أدب  
فاجع لملك يوما أن تعض على      لجم دلاصية تشيك عن كذب  
إني اعتذرت فما أحنت تسمع من

عذري ومن قبل ما أحنت في المطلب  
صبراً أبا دلف في كل باقية      كالقدروقفا على الجارات بالمقب  
يارب إن كان ما أنشأت من عرب

شروى أبي دلف فاسخط على الرب  
إن التعصب أبدى منك داهية      كانت تحجب دون الوهم بالحجب  
ثم اتصلت المهاجرة بينهما زمنا      بسبب تعصب علي بن جبلة  
لأبي دلف وليس غريباً ولا فضولاً أن يتعرض علي بن جبلة لهجو  
محمد بن عبد الملك لا يحمله على ذلك إلا انتصاره لأبي دلف  
وإخلاصه له وتقانيه في حبه ، فقد تعرض ابن أبي جبلة لفضب  
الأمون وناله ما ناله منه بسبب أبي دلف إذ قال فيه :

إنما الدنيا أبو دلف      بين يديه ومعتضره  
وإذا ولي أبو دلف      ولت الدنيا على أمره  
وقال :

أنت الذي تنزل الأيام منزلاً      وتنقل الدهر من حال إلى حال  
وما مدت مدى طرف إلى أحد      إلا قضيت بأرزاق وآجال  
فأحفظه عليه ، فليس يعقل أن يخشى سلطان محمد بن  
عبد الملك وهو لم يخش سلطان الخليفة وإن كان محمد بن عبد الملك  
قد بلغ من السلطان مبلغاً جعل الناس يتعلقونه ، فيرضون عمن  
يرضى ويغضبون على من يغضب .

وهذا إبراهيم بن العباس الشاعر تنقلب صداقته لمحمد بن  
عبد الملك عداوة شديدة ، وشحناء عظيمة ولا سبب لذلك فيما ينلب  
على الظن إلا أن ابن عبد الملك حسد إبراهيم حظه من الواجهة  
الأدبية فهو كاتب حاذق بليغ ، فصيح منشىء ، وهو إلى هذا  
شاعر مجيد يقول عنه أحد شعراء عصره لو تكسب إبراهيم بالشعر  
لتركنا في غير شيء . وحسده كذلك نباهة شأنه ، وعلو قدره ،  
حتى لقد تنقل في الأعمال الجليلة والدواوين إلى أن تولى ديوان  
الضياح والنفقات بمر من رأى — وكأنما كان يخشى منه ابن الزيات  
على نباهته أن يخلعها ، وسلطانه أن يذهب به ، فهو يحمل عليه  
وينال من دينه وشرفه ، ويرسل إليه أبا الجهم أحد بن سيف  
ويكلفه أن يبحث يدقه في شئونه عسى أن يكشف عن أخطائه  
ويظهر من أغلاطه ما يأخذه به في غير حذر من لوم ، فيكتب  
إليه إبراهيم .

وإني لأرجو بعد هذا محمداً      لأفضل ما يرجى أخ وزير  
ولكن محمداً يقيم على أمره      وأبا الجهم يلج في تحامله . فيكتب  
إبراهيم أيضاً إلى ابن الزيات شاكياً أبا الجهم قائلاً منه ،  
واصفاً إياه بالكفر ، إذ هو القائل لما مات غلامه يخاطب  
ملك الموت :

تركت عبيد بني طاهر      وقدملاً والأرض غرماً وطولا  
وأقبلت نسي إلى واحد      ضاراً كأن قد قتلت الرسولا  
فسوف أدين بترك الصلاة      وأصطحب الخمر صرفاً شمولا  
فينسب محمد لشدة عصيته على إبراهيم هذا الشعر له ويرميه  
بالكفر دون أبي الجهم ، وبأنه أن يسعى لتوحيده إلى بصرى أو

ثراً ولا ينقذه منه إلا الخليفة الواثق فهو الذي يرفع عنه ،  
ويأمره أن يقبل منه ما رفعه من المال برغم ما ثبت عليه من عجز  
في إدارته في ديوان الضياع بما كشفه أحد بن المدير ، حين جمع  
التوكل بينه وبين إبراهيم فأخذ يروي من عجزه أمثلة لا تفتقر -  
وقد اعترف إبراهيم نفسه بعجزه وقال : إني لم أدفع أحد بحجة  
ولا كذب على في شيء مما ذكر . ونظر فاذا الناس يتحامون  
إبراهيم أن يلقوه ، وقد انحرف عنه محمد بن عبد الملك ، حتى  
الحارث بن شخير الزريم النفي ، وكان صديقاً مصادياً لإبراهيم  
بهجروه فيمن هجره من الإخوان . فيكتب إليه إبراهيم :

تغير فيمن تغير حارث وكم من أخ قد غيرته المواقف  
أحارث إن شورك فيك فظالما غنيا وما بيني وبينك ثالث  
ومحس إبراهيم أن ابن الزيات رُدَّ عنه ، فيسقط لسانه فيه  
ويهجوه كثيراً ، ويقول له :

أبا جعفر خف خفضة بعد رفعة وقصر قليلا عن مدى غلوائكا  
فإن كنت قد أوتيت عزاً ورفعة فإن رجائي في غد كرجائكا  
ثم يبلغه أنه مات فيقول :

لما أتاني خبر الزيات وأنه قد صار في الأموات  
أيقنت أن موته حياتي

وبإمارة أحمد بن دؤاد فيهجوه ابن الزيات كثيراً ويجمع أحد  
الشعراء ويحرضهم على هجاء ابن الزيات ، ثم يقول فيه وقد بلغه  
أن أحد الشعراء هجاء بقصيدة عدتها سبعون بيتاً

أحسن من سبعين بيتاً هجاء جمعك معانين في بيت  
ما أحوج الملك إلي مطرة تنسل عنه وضر الزيات  
يمبر ابن الزيات بتجارة الزيت ، فلما بلغ البيت ابن الزيات

كتب إلى القاضي أحمد بعيره ببيع القار وكان أبوه يبيعه  
إذا الذي يطمع في هجونا عرضت بي تفك الموت  
الزيت لا يزرى بأحساننا أحساننا معروفة البيت  
فيرتم الملك فلم تنقصه حتى غسلنا القار بازيت  
وينشد أبو تمام محمد بن عبد الملك قصيدة يقول في مطلعها

« لمان علينا أن نقول ونفعلنا » فيثيبه عليها ثم يوقع له  
رأيتك سهل البيع سحاً وإعما ينال إذا ما ضن بالشئ بائمه  
فأما الذي هانت بضائع يبيعه فيوشك أن تبقى عليه بضائمه  
هو الماء إن أجمته طاب ورده ويفسد منه أن تباح شرائمه  
فيجيبه أبو تمام منكراً عليه هذا التوقيع

أبا جعفر إن كنت أصبحت شاعراً

أسامح في يبي له من أبيائه  
قد كنت قلي شاعراً تاجراً به

تساهل من عادت عليك منافعه  
فصرت وزيراً والوزارة مكرع ينص به بعد الذاذة كارع  
وكم من وزير قد رأينا مسلطاً فماد وقد سدت عليه مطاله  
ولله قوس لا تطيش سهامها ولله سيف لا تقل مقاطعه  
وقد حل أبا تمام بقسوة ملاحظته أن يرد عليه رداً ثقيلاً فيه  
هجاء وفيه تذكير بما قد يؤول إليه أمره مما يشناه له حساده  
وأعداؤه وقد صار أبو تمام بهذا أحدهم .

عبر اللطيف ثابت

« الحديث بقية »

## إدارة البلديات العامة مياه

يطرح مجلس فاقوس البلدي في  
المنافسة العامة عملية دهان خزائن  
المياه العالي وقد تمحدد ظهر  
يوم ١٤ إبريل ١٩٤٥ افتتح المطايات  
بديوان المجلس - ويمكن الحصول  
على الشروط والمواصفات من المجلس نظير  
مبلغ ٢٠٠ مليم للنسخة .

٣٢٩٧٠

## الشيخ عبد العزيز البشري

لنأسيه انطواء عامين على وفاته \*

للأستاذ منصور جاب الله

—>>><<<—

طويت صفحة المرحوم الشيخ عبد العزيز البشري في غمار الأحداث فلم يبقه الأتلام حقه بمحبته من أدباء العربية المعاصرين الذين خدموا لغة الضاد وتميزوا بجزالة الأسلوب ورصانة العبارة ووثاقة المعنى .

والحق أن المرحوم البشري كان من حواربي تلك المدرسة الأدبية المحافظة التي نشأت في أعقاب الثورة العربية ، ولقد شرح بنفسه مدى تأثره بأسلوب المويلحيين في الجزء الأول من كتاب « المختار » . ولو قد رجعنا إلى أساليب الكتاب قبل هاتيك الثورة لهاثنا مقدار تهاقها وركاكتها وبعدها عن أوضاع اللغة الصحيحة ونحوها وصرفها ، ومن ثم كان لنا أن نزعج أن الثورة العربية خدمت — عن طريق غير مباشر — اللغة العربية بما أذكت من الكتاب والخطباء .

ولقد نشأ الشيخ البشري في بيت علم ونعمة وحفاظ ، فكان أبوه شيخاً للأزهر حقة ليست بالقصيرة وكان من الأساتذة المتبحرين في الفقه على المذهب المالكي ، فلم يشأ أن يخالف عن تقاليد أسرته فانخرط في سلك طلاب الجامع المتيق ، بيد أن النهضة الحديثة كانت أضواءها تأتلق في جنبات الأزهر بين طائفة قليلة من الطلاب وطائفة أقل من الأشياخ . وكان أن أصدر المرحوم إبراهيم بك المويلحي صحيفته الأسبوعية « مصباح الشرق » وفيها نقد للشخصيات المصرية في القرن التاسع عشر وفيها « حديث عيسى بن هشام » لمحمد بك المويلحي بأسلوبه الهكيمي الجزل ، وهكذا فتن « البشري الصغير » بالأدب والأدباء وعزف عن حلقات الدرس في الأزهر ودأب على مراسلة الصحف الأدبية القائمة حينذاك ، وما كاد يظفر بإجازة مالية حتى طلبته وزارة المعارف ليكون محرراً فنياً بها .

(\*) توفي رحمه الله في صباح الخميس ٢٥ مارس عام ١٩٤٣

حدثنا رحمه الله فيما حدثنا أنه كان مغرماً بالفن من صباه ، وأنه وقد أدرك من الطريين عبده الحنولي ومحمد عثمان ويوسف النيلادوي وعبد الحلي حلمي وغيرهم ، كان لا يفتوته مجلس من مجالسهم الموقفة ، وإذا كان صغيراً والناس ما يبرحون على الحفاظ والإحتشام ، كان ما ينفذ من الخدم والأحراس إلا بالرشوة في أيديهم أو باثروغان من أعينهم ، وكان يمضي الليل ساهراً جلّه ما تغمض عيناه غير سريعات قلائل مع مطلع الفجر .

وكان الشيخ البشري يوافق الصحف بمقالاته التي تشيع في جوانبها الجزالة والترف اللفظي ، غير أنه كان يطالع كل مقالة على ملأ من إخوانه قبل نشرها ، وأخبرنا رحمه الله أنه كان يهيج في رسائل « في المرأة » نهج المويلحي الكبير في تحليله الشخصيات دون خدش للأعراض أو إسفاف في الأداء . وذكر أن أحداً من الزعماء إذا عرف أن نوبته قد أقبلت في « امرأة السياسة الأسبوعية » طوى ليله ساعراً لا يغمض له جفن حتى يطالع ما كتبه عنه البشري !

\*\*\*

تقيته — رحمه الله — أول ما تقيت صيف عام ١٩٢٨ ، وكان مصطفى في ضاحية « شوتس » الجنية في رمل الاسكندرية ، فتمازقنا من يومها وتوثقت بيننا الصداقة فكان لا يهبط الاسكندرية حتى يعلمني بمقدمه فلا نكاد نفترق طوال مقامه بالثغر البسيم . ولما أراد أن يسوّي من مقالاته المبثوثة في الصحف كتاباً ، عهد إلى « فأذ كيت جماعة من النساخين في مكتبة بلدية الاسكندرية ونقلت بيدي طائفة منها مما كنت أحتفظ به من صحف ومجلات . وقد أحجم عليه رحمة الله طويلاً عن جمع مقالاته في كتاب ثم أجاب طلبه أصدقائه على تكره واستئفال ، وأشار إلى ذلك في مقدمة الجزء الأول من كتاب المختار فقال : « وكثيراً ما استعجني صدقائي على أن أسوّي من تلك الرسائل مجموعات أطبعها وأنشرها للناس ، فإذا اعتلوا على عذري بأن هذا الذي أصنع مما لا أراه يرتقى إلى هذا المكان ، رحت أجاريهم بظاهر من القول ، وفي التعليق على مشيئة الله تعالى من الكذب منتدح »

وكان أسلوب البشري وسطاً بين الترسل والسجع ، وكانت فواصله بعيدة المدى ، وتنبأصر حينها بمزح أو يداعب ، وتستريح

بين المصريين جميعاً» وتفرست في الصور فإذا هي لمظاء ثلاثة :  
المرحوم أحمد شوقي بك ، والدكتور على إبراهيم باشا ، والدكتور  
عبد الحيد بدوي باشا . وقد رجعت الآن إلى كتابه « المختار »  
فألميته يهديه إلى صديقه المرحوم محمد راغب عطية بك الوزير  
السابق بهذه العبارة «أهدى عصارة ذهني مدة الحياة ، إلى من  
أهدت مودته إلى أحلى ذكريات الحياة» .

\*\*\*

كان الشيخ عبدالعزيز البشري أديبا ملء إهابه ، ولو قد  
قصر عمله على الأدب والكتابة لجاء فيهما بالمعجب المجاب ،  
ولكن أريد له أن يكون موظفا ، وأريد له أن يكون رئيسا  
إداريا ، وليس يتقص من قدر الأديب الصحيح سوى الوظائف  
التي لا تؤم طباخته ، ولا تتفق مع سليقته ، ومن ثم بدأ يحجز أديبنا  
العظيم وانحأ حين جاء به وكيلاً لإدارة المطبوعات ، ثم مراقباً  
إدارياً لجمع اللغة العربية ، وقد توفى وهو يشغل المنصب الأخير ،  
وكان لابد مما ليس منه بد ، وترك رحمه الله الجبل للغارب لبعض  
صغار الموظفين ، فأحفظ ذلك سائرهم ، وكان فيهم أديب معروفون ،  
وكان فيهم أصدقاء قداماء له . فقام ذلك دليلاً على أن الأديب الممتاز  
ينبغي ألا يشغل عن الأدب بما هو دون الأدب .

\*\*\*

وبعد ، فلقد غدا عبد العزيز البشري في المنصين ، لا بل لقد  
أصبح وأمسى في المذكورين . وبين أيدينا الساعة كتاب « المرأة »  
وهو أول كتاب من نوعه في الأدب العربي ، يجد فيه وعزج ،  
ثم لا يقول إلا حقاً ، وبين أيدينا جزءان من كتاب « المختار »  
وقد جمع فيه أروع وأجل ما أرسله في الصحف الدائرة ، ثم هو قد  
ألف كتاب « التربية الوطنية » لتلاميذ المدارس وشارك في وضع  
« المجمل في الأدب العربي » لطلبة المدارس الثانوية . ومثل هذه  
الآثار مجتمعة ومتفرقة لا ينسى صاحبها ، ولسوف تحضي سنون  
وسنون وهذا البلد وبلدان المروية قفر من بيان البشري الساحر  
وملحه الطريفة ، وشخصيته القذة . تداركه الله برحمته ، وجزاه  
عن لغة الضاد أحسن الجزاء .

القارىء في أن تعرض عليه مثلاً من الازدواجات « البشرية »  
الرائعة . قال رحمه الله على لسان مفرد صب « إنني مارأيت دُرّة  
قط إلاّ حسبت أنها أنزعت من ثغرها ، ولا أبصرت مرآة قط  
إلاّ ظنيت أنها استعيرت من صدرها ، ولا طالمت وردة ناضرة  
إلاّ خلتُ أنها تظفت من خدّها ، ولا تمثّل لي غصن من البان  
إلاّ أحضرتني صورة قدما ، ولا سطع لي عيبر إلاّ شعرت أنه من  
شذاها ، ولا فصحتني نور إلاّ قدّرت أنه من إشراق عيهاها ،  
ولا سمعت شدو القمري إلاّ سمعتها تتكلم وتلغو ، ولا طاف بي  
النسيم إلاّ تمثّلها تلب وتلهو ، ولا طلعت الشمس إلاّ رأيتها فيها ،  
ولا استمّ البدر إلاّ حلتها تملو على الدنيا كبراً وتبها . وإني لأرفع  
بصري إلى السماء فأرى لها هودجاً في موكب السحاب ، وأخرج  
إلى الفلاة فإذا هي يفرقق بها السراب ، فهي سمدى وهي نحس ،  
وهي نسيى وهي يؤسى ، وهي لذى وألى ، وهي صحتى وسفى ،  
وهي نعمتى وبلاتى ، وهي حياتى وفاتى » (١)

وقال البشري الشعر في صباه ، وكان يرسله في جريدة  
« الظاهر » مجزواً في المرحوم الشيخ على يوسف صاحب المؤيد  
تشبيهاً منه للمرحومين مصطفى كامل ومحمد الميمني ، ثم أجبل  
زماناً ، فلما توفى صديقه المرحوم الدكتور حلى المناشوي في ريق  
الشباب ومشرق الفتوة جرى لتأنيته بالشعر مرة أخرى ونشرت  
له « الرسالة » قصيدة باكية في ربيع عام ١٩٣٤ ، وكانت آخر  
قصيدة له فيما أعلم ، فلم يقل بعدها شعراً .

والشيخ البشري . كما عرفه أصحابه ، حسن العشرة ، بارع  
الحديث ، سريع الخاطر ، يجيد الفكاهة ، ويستضحك بنوادره  
البابكي الحزين . ومن ثم أخذته كثير من عظماء المصريين صاحباً  
وخديناً ، وقبلوا وسطاطته وشفاعته في الناس ، ولكنه كان إلى  
ذلك عصبي المزاج يثور لأقل بادرة ، وفي سبيل ذلك يهدر الصداقة  
التديمة ، ومن أجل هذا التمز كان كثير من أصدقائه يتقونه  
ويتحاشونه ، ويخافون سقطات لسانه .

زوّته في مطالع عام ١٩٣٤ ، وكان يسكن بضاحية الزيتون ،  
فأخذ يبدى وأدخل في قاعة الاستقبال وأشار يده إلى صور معلقة  
إلى الجدار قائلاً « هؤلاء الثلاثة هم الذين أجلبهم وأحترمهم من



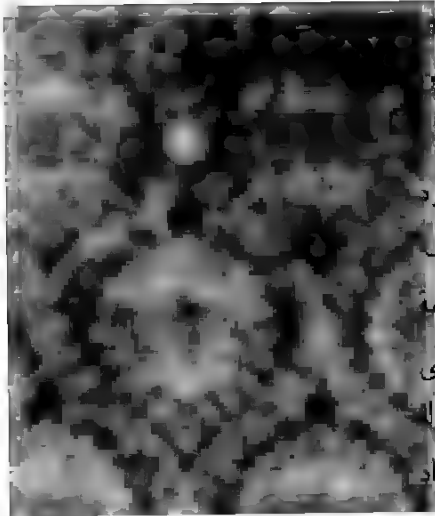


## المنسوجات في الخلافة الإسلامية للدكتور ر. ب. سارجنت

—>>><<<—

وكانت فرنسا ، وإيطاليا ، والدولاب الألمانية ،  
وأسبانيا ، وغيرها من بلاد أوروبا تستورد المنسوجات  
من الشرق الأوسط لاستعمالها في القصور الملكية  
والأغراض الدينية في المعابد الكنسية الفنية ، حيث  
معظم النماذج المعروفة لتلك المنسوجات لا تزال باقية حتى اليوم ،  
ولاسيما ما هو باق منها في الأقطار البلطيقية . وعلى مقتضى ما قرؤد  
في دفاتر الحسابات الملكية الإنكليزية التي ترجع إلى منتصف  
القرن الثالث عشر الميلادي ، كان ملك انكلترا قد اشترى منسوجات  
إسلامية ليضعها في كنيسة وستمنستر . وقد اطلعت في سجلات  
النفقات البنية للوك اسكتلاندة في سنة ١٣٣١ ميلادية ، على  
أصناف تشتمل على قطع من الحرير الرقيق من أنطاكية  
وطرسوس وطرابلس الشام .

وفي عهد الخلفاء



العباسين — بل

عهد الخلفاء الأمويين

كذلك — كما

بلاط الخليفة يستورد

منسوجاته الثمينة

من مجموعة عظيمة

من المصانع التي

تملكها الدولة

لصناعة تلك المواد

القيمة وكانت تعرف ( شكل ١ ) زخرف من اللؤلؤ وبه كتابة كوفية  
تلك المصانع باسم مصانع الطراز . ويقول رحالة العرب إنه كانت  
توجد مصانع للطراز في كثير من بلاد فارس ، ومصر ،  
وأفريقية الشمالية ، وأسبانيا ، كما يذكرون أنه كانت هناك  
مصانع للطراز في صقلية ، وسوريا ، والعراق ، واليمن . ومن  
المرجح أن المنسوجات كانت تحمل من هذه المصانع إلى  
قصور دمشق ثم بعد ذلك إلى قصور بغداد ، حيث كان يلبسها  
رجال البلاط أو ينعم بها هدايا قيمة وتكريما للنعم عليه بتلك  
الجلع ، من رجال الدولة ، حتى الشعراء والغنيين كما نحدثنا بذلك  
القصص الطريفة التي عملاً كتاب الأغاني . على أنه ليس

لقد طغت صناعات النوب على جميع أنحاء العالم في أثناء  
القرون الثلاثة الماضية ، حتى أوشكنا أن نسي أن صناعات  
الشرق ، ولاسيما الشرق الإسلامي وبزنطة ، كانت تنهات عليها  
البلاد الأوربية تنهاتاً عظيماً . ومحدثنا رحلة البلاد الغربية في القرن  
السادس الهجري أن الإسكندرية كانت تنموج بحركة الملاحة  
وسفن النقل البحري من جميع ممالك أوروبا حتى أقصى حدودها  
الشمالية في البلطيق وإسكندناوة ، بله العديد من التجار الذين  
كانوا من جهات أبعد في الشرق كالهند وغيرهم . وليس نمة شك  
في أن تلك السفن حملت معها « الإسكندري » الثمين وهو نسيج  
من النيل الطرز بالحرير . وأغنية رولان ، التي كتبت في القرن  
الحادي عشر ، والتي كانت تصف حوادث عصر سابق بمدة طويلة  
لتاريخ كتابتها ، تذكر جثة مكفنة بقطعة من نسيج الإسكندري .  
وكما انتقلت تجارة المنسوجات إلى القرب عن الطريق البحري ،  
كذلك انتقلت إليه عن الطريق البري على الساحل الشمالي الإفريقي ،  
كما أنها انتقلت إلى أوروبا الشرقية كما يستدل على ذلك من العملة  
الإسلامية التي ترجع إلى ذلك التاريخ والتي عثر عليها في الطريق  
الرئيسية لأوروبا الشرقية والسهول الشاسعة لبلاد روسيا ، مما  
وصل إلى بعض البلاد التي في أقصى الحدود الشمالية لبلاد روسيا .  
ويحدثنا ابن فضلان أن الروس كانوا يتجرون مع البلاد الإسلامية  
في قراء القند والسمر والسنجاب ، إذ كانوا يجلبونها من  
الشمال بطريق المساء على نهر الفولجا ، يأخذون بدلوها المنتجات  
المصنوعة في العالم الإسلامي التمدن .

والذين كادوا لا يعلكون من سلطان الحكم أكثر من اعتمادهم لأولئك الذين كانوا يقتصبون السلطة في أيديهم . فقد كانوا مثلاً يرسلون مجموعة من الحلل الملكية لأمير مثل محمود القزويني ، محتوية على منسوجات بغداد الخاصة . وقد عثر علماء الآثار القديمة على نماذج موشاة بالكتابة من صنع دار الطراز ببغداد في أجزاء أخرى من الإمبراطورية الإسلامية .

وكان من الطبيعي أن أنواع شتى من المنسوجات كانت تصنع أو تباع في العاصمة الإسلامية . فليعقوبى يحدثنا عن تجار المنسوجات الخراسانية بالقرب من ناحية الكرخ . وكانت بعض أجزاء مدينة بغداد تسمى بأسماء النسيج الذي تصنعه أو تبيعه . فالنسيج الذي من صنف الستر كان يشتري من حي التستارية . ونستمر مدينة من مدن خوزستان على رأس خليج العجم . ومن الشائع أن نذكر أنه كان في تلك الولاية كثير من مصانع الطراز ترجع نشأتها إلى عهد الدولة الساسانية التي كان ملوكها قد نقلوا الصناع من حدود رومية ليؤسسوا صناعاتهم في جنوبي بلاد العجم وفي العراق . وربما كانت الثياب الدقيقة تصنع في حي الديقية على نهر عيسى ، وهو طبعا نسيج أصله مصري ، كما أنه قد يكون أكثر الأنسجة تردداً على الألسنة وأعلاها قدراً في ذلك العصر . ويصف لنا الفرناطي نسيج التابي بأنه مقلم كجلد حمار الوحش ، وهو حيوان يقول عنه إنه من فصيلة الحمار ، وقد رآه في القاهرة وعند ما مات ذلك الحيوان حفظ جلده وحشى قطناً ل عرضه في أيام المواسم .

ولقد رأت الحكومة في تلك الصناعة الرائجة ، صناعة الأنسجة ، مصدراً ل جلب الضرائب ، فحاولت في القرن الرابع الهجري أن تفرض ضريبة على جميع المنسوجات المصنوعة من الإبريسم أو القطن في المدينة ، مقدرة أن تجلب تلك الضريبة ألف ألف درهم للخزانة العامة . ولكن الضريبة كانت مكروهة ، وسببت اضطرابات عنيفة ، فقررت الحكومة فيما بعد بترسية الشعب بفرض ضريبة على المصنوعات الخيرية فقط . وأنشئ مكتب بجوار بركة دزل ، وكانت جميع البضائع التي تدفع عليها ضريبة تخم هناك بخاتم الحكومة ، وهو نظام يثير المعجب لانطباقه على الأساليب الحديثة الآن .

( البقية في العدد القادم ) عن مجلة الأدب والصناعات

شك في أن هذه المصانع لم تكن من اختراع العرب الذين غادروا الصحراء ووردتوا نظم الحكم وعرائق العيش عن البيزنطيين والفرس . ويشير الجيشاري إلى أن ديوان الخراج كان يستعمل اللغة اليونانية في الغرب واللغة الفارسية في الشرق ، حتى حدث التعديل بنقل لغة الديوان إلى العربية . وهو يذكر شيئاً بالمنتجات الخاصة بكل إقليم ، والتي حملت إلى بغداد بصفتها جزءاً من الخراج وكثير منها كان من المنسوجات . من المرجح إذن أن ديوان الخراج كان على اتصال وثيق بإدارة مصانع الطراز . ومختلف المؤرخون في أصل نشأة الطراز ، أكانت في مصر أم في العراق ؛ ولكن المرجح أن الطراز كان في كل من القطرين منذ زمن لا تيه الذاكرة ، بقية من نظام الضريبة النوعية التي كانت تدفع

ولقد كانت

الطراز من الأهمية

في عصر العباسيين

بحيث عين له رئيس

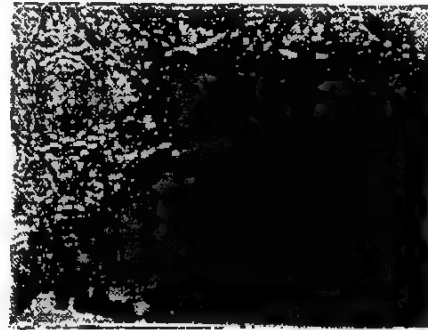
خاص بإدارته ،

ولم يقنع هارون

الرشيد بشخص أقل

من جعفر البرمكي

نفسه لإدارة ديوان



( شكل ٢ ) نسيج مصري منسج بجمع

لحوالي سنة ١٣٠٠

البريد ، ودار ضرب النقود ، ودار الطراز — وهي وظائف لا بد أنها كانت تدر الخبز . وبإحلال الخلافة العباسية انحلالاً تدريجياً شرعت الإمارات الصغيرة تستولى على دور الطراز السلطانية أو تنشئ دوراً جديدة ، وعلى الخصوص في الأندلس وأفريقية الشمالية . ولإمام اليمن مصنع ملكي للطراز في صنعاء من المرجح أنه منحدر انحداً مباشراً عن مصنع الطراز الذي كان للخلفاء . وفي تاريخ غير معروف أنشئ مصنع ملكي للطراز على الضفة الشمالية لنهر دجلة بالقرب من الرصافة ، ولا بد أنه كان يضم مساحة كبيرة من الأرض . وكانت بغداد كما هو المنتظر من دخلها الضخم وبلاطها المترف وسكانها الذين يقدمون بعض من محتج بهم بعلينين من الأتقى — أعظم مركز لصناعة المنسوجات في العالم الإسلامي . وكانت حلل ولاية الرش تصنع في دار الطراز حتى في العصور الأخيرة للخلفاء العباسيين العلويين على أمرهم

## في البيت...

للأستاذ عبد الرحمن صدقي

أيّا غرفةٍ مرموقةٍ لصقَ غُرفتي

مطفأةَ الأنوارِ رهنًا بظلمةٍ

أرى بابك الطروقَ أسيّ موحّدًا

ومخدعُ زوجي أنتِ ، بل أنتِ جنّتي

فأدعو زوجي وهي جدُّ سيمعةٍ

لأمرى ، ولكن الصدى رجّع دعوتي

لقد كنتِ يازوجي لدى الصبح موقظي

وكنتِ حبيبي في خروجي وأدبتي

فألى لا ألكِ بوى وليك

وبابك من بابي على قيد خطوةٍ

أرى من خلال السجف نوراً مشعشعاً

من الشمس ، لكن لا أرى شمس مهجتي

وأسمع للأطيّار تزقو كما زقبتُ

وللورق تُزجي سجمةً بعد سجمةٍ

فأين نباتُ الخبز تُلقينه لها

فيمتدّ من هنا حبةً إثر حبةٍ

غمرن أوانَ الأكلِ فعي كعهدها

ترأى صفوفاً فوق سورٍ وأيكّةٍ

تألفَها يا إلفَ قلبي وأنتِ

قال في هذا الحيسى نهبٌ وحشة!

ألا تسأليني كيف أصبحتُ ؟ في الضحى

وترجّين لي طيبَ الكرى في العشية

مهديّك لا أفاك حتى ترّيني

ألم تقرّني لي من حيلٍ وزينةٍ

شريكةَ عيشي ، أسفر الصبحُ فاطلي

أعدّي قُطوري واتقي لي حُلتي

مكانك خالي في الحوان فأقبل

فيمّنا طعامي من حديث وطلعةٍ

وإني لنأدي للخروج كمادني

فأين وداعي بالوصيد وقبلي

أغضبي بلا ذنب وفي غير مغضبٍ

وأنت الرضى والصنع عن كل زلةٍ

وكنتِ أعزّ الناس عندك برهةً

أهنتُ عليك اليومَ من بعد عزّةٍ ؟

معاذ الهوى ! ما إن جمعتِ لجنوةٍ

ولكنه حكمُ القضاء انتشت

تأني بك عني للمنية فائل

ولولا الناي ما سكتِ لفرقي

فأعدّني بيتي وعيشي وجنتي

وكانت هنا في غرفةٍ لصقَ غُرفتي

أمرأً فأزوي الطرفَ عنها نالاً

وكان إليها ما مررت تلغفي

ويفتحون أب يفتح الباب فأمح

كأن كشف اللحاء عن جوف حفرةٍ

أطامن صوتي - إن هممت - محاذراً

وأحبس أنفاسي وأخلص مشيتي

وما بي حذارٌ أب أنبّه هاجماً

وباليت يصحو الموتُ من بعد هجمةٍ

ولكن مزيجٌ تارةً من تهيبٍ

وخوف ، وطوراً من خشوع وحرمةٍ

ووالله لا أدري أنفكير عاقلٍ

أفكر ؟ أم هذى سجادير جنةٍ

## الخطبة الأولى

للشاعر إدوار حنا سعد

جيفة

لشارل بودرييه

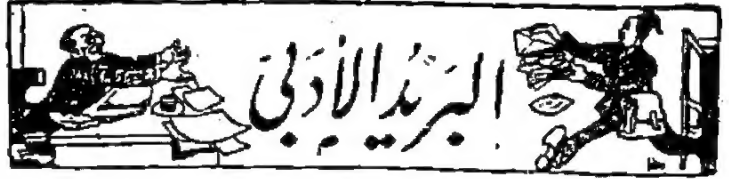
بقلم الأستاذ عثمان علي عسل

فتحت بابها وقالت تقدم سكت الليل والنرام تكلم  
 ما لك نيك ترجفان وكفى فيها مستكنة تستلم  
 ذاك ميعادنا وهذا هوان فلماذا تبهم حيناً وتُحجج  
 ليلة كالخلود بعد اشتياق تندني بها الليالي وتُنعِم  
 هفت المذبح الأتيق الرودي: النرام النيف واللهو عندي  
 والتهويل والستار قالت إن قواك ها هنا ليس تُجدي  
 فدخلنا إليه كفاً بكف من فتون الهوى... وخذاً لخد  
 وسباني إغراؤها وهي تخني نار أشواقها دلالاً وتبدي  
 أسكرتني العطور والأنوار فارات وأحترتني النار  
 فاذا الترفة الصنيرة تندو عالماً لا تحمده الأبرار  
 وغيوماً مورّدات الحواشي وسماء تحفها الأسرار  
 ورياضاً، إعصارهن نيم وبجاراً نسيهما إعصار  
 لم يند للوجود سرّ يباح كل ما فيه غامض أشباح  
 ويد عانت وأخرى تراخت وأسى يتدى ونسى كُتاح  
 أخرج شفته كأس التداني أم يرى قد أغتته الجراح؟  
 لا جديد ولا قديم ولكن حلم وانتباهة وصباح  
 ضحك الفجر ساخراً وبكاني حين غادرت معبد الشيطان  
 هارباً كالذئب تحت ظلال من أسى فائر ومن أشجان  
 حاقداً تملأ السموم كياني وخجولاً من كل وجه يراني  
 آه يا رب بعد طول تسام لحقت بي حقارة الإنسان  
 أتراني أخطأت أم ذاك ضعف كامن في دماثنا لا يكف؟  
 سنه آدم وأورثنيه أم جديد على شباني يرف؟  
 وخطايا كريمة غير أني قد وجدت الأجساد ليست تعف  
 نهت في حيرتي فوجهت عيني للرحيم الذي يقيل ويعفو  
 أنت أقتدت من شراك النواني يوسفاً بالهدى وبالبرهان  
 فلماذا تركتني يا إلهي في سمادير جواها الفنان  
 كلما قلت فرقتي صلاتي زعم القلب أنه غير داف  
 لا على الشك يستريح فؤادي يا إلهي ولا على الإيمان  
 أنا يا رب تائه وغريق بعد الشط والتوت في الطريق  
 فأنجأ قلبي الشجي لنجوا لك فأين لنا وأين الرحيق؟  
 ابث النور في حياتي وهدد نزواتي لعلني أستفيق  
 واهت النار في هشيم شكوكي على شكى تقضى عليه الحريق

أندكرين يا حبيبتى ما رأيتك صباح هذا اليوم المشرق من أيام  
 الصيف الجميلة؟ أندكرين هذه الجنة البشعة وهي راقدة على فراش  
 قد تناثر عليه الحصى. وقد رقت ساقها في الهواء كفاجرة تنهبها  
 الشهوات، ينضح منها المرق سما، وكشفت عن بطنها المغم  
 بروائح منتنة بفتور واستهتار. كانت الشمس تسلط أشعتها على هذه  
 الجيفة كأنما تريد أن تصلبها وتسويها فترد إلى الطبيعة ما وسقته،  
 مبغراً في ذرات لا تحصى. وكانت السماء تنظر إلى هذه الجنة الرائعة  
 كأنها زهرة تفتتح، وكانت رائحة العفن الشديدة حتى كدت تسقطين  
 على الأعشاب مفتشياً عليك. وكان الباب بطن حول هذه الأحشاء  
 المجفرة التي تنبت منها خشرات صافات سود تنحدر كأنها سائل  
 ثقيل على هذه الأسمال الحية، وهي تلو وتهبط كالأمواج، وتندفع  
 في صخب، فيخيل إلى المرء أن الجسد وهو ينتفخ بأنفاس خفية  
 يستمر في الحياة بتكاثر أجزائه. كان هذا الجسد يردد أنشاداً غريبة،  
 كأنه ماء جار، أو ريح عاصفة، أو وسوسة جوب تدّررى بنفسه  
 في الهواء بمحركات متسقة. غابت معالم هذا الجسد عن الأنظار، فذا  
 تمد تبدو للعين إلا كحلم أو رسم أول لصورة سيرسما الفنان من  
 ذاكرته بعد حين على لوحته المهجورة. وكان ثمة كلب قلق قابلاً  
 وراء الصخور، ينظر إلينا شزراً، مترقباً لحظة ذهابنا ليمود فيلتها  
 العظيمة التي تركها من هذا الخطام. على أنك واحسرتاه! ستصير  
 يوماً كهذه القمامة المدفنة، كهذا التبن الخفيف، انت يا نور عيني  
 يا شمس حياتي، انت يا ملاكي، يا هيائي. بلى! إلى مثل هذا  
 المصير سينتهي بك المطاف، يا ملكة الجلال، بعد أن تتلى على  
 روحك الصلوات الأخيرة، فترقدين تحت الأعشاب والأزهار  
 وبيلي جمالك بين الرّم. وحينئذ خبري يا حبيبتى الفاتنة، خبري  
 الدود الذي سيلتهمك بقبلاه، إنني سأحتفظ بصورة غرامي الزائلا  
 وروحه القدسة.

(٥) في النمل الذي كتبه الدكتور محمد بهجت تحت عنوان « يرث  
 الفنان كل ما في الطبيعة جيلاً » من سلسلة المقالات القيمة التي ينشرها  
 الفن لبول جيزيل إشارة إلى هذه التصبده التي ينشرها كاملة ليأملها القارئ

(دكتور هيكان) ، والآنسة جان رسامة بارعة ناضجة ، قد وقتت فيارسمت توفيقاً كبيراً ، فأعطتنا خلاصة شخصية الرجل الذي رسمته ، ويبدو أنه رجل ممتاز ، فالصورة تنطق بالعمق والعزم ويقظة الحيوية النفسية .



### أروسانا ساطع المصري بك

وردت القاهرة في الأسبوع الماضي على الربح والسعة المربي الكبير الأستاذ ساطع المصري بك ، زعيم النهضة العلمية في العراق ، والمستشار الفني لوزارة المعارف في سورية ، وأحد أقطاب الفكر في الشرق ، ومؤلف الكتاب القيم « دراسات عن مقدمة ابن خلدون » ؛ وردت القاهرة يستجم قليلاً بعد أن قضى سنة في العمل المتصل ، متقللاً من مدن الشام إلى قراء ، زور المدارس ، ويدرس المناهج ، ويبحث النظم ، حتى استطاع أن يضع للتعليم في سورية دستوراً على أحدث الطرق التربوية الحديثة يلائم نهضتها ووطنيتها وعقيدتها ووحدةها ، ثم أخذ يدعو إليه ويدافع عنه حتى تُقَدِّمَ . وقد زل الأستاذ في فندق شبرد ، فأقبل عليه الشوقون إليه والمحبون به يرجون بمقلمه وينعمون بلفائه .

### معرضى سيرات القاهرة

المرض الذي أقيم في نادي سيدات القاهرة خلال هذا الشهر<sup>(١)</sup> ، لا يقل في مستواه عن أي معرض شاهدناه . والرسوم المعروضة كلها من رسم سيدات وآنسات ، والبعض مهن لسن مصريات ، ولكنهن عشن في مصر واستوحين تزيينها السراء وسماها الصافية ومشاهدها المختلفة .

وأحسن صور هذا المعرض من عمل الآنسات مخرجت يربك وجان كوهين وتيرفا فرح وكلو بادارو ، ولكل طابها وشخصيتها الميزة .

فرسوم الآنسة يربك متعممة بالمحافظة الشابة ، وفي صورها شيء من الشاعرية ، وهي ترمم وكأنها تصل أو تنق وتبذل كل حرارة قلبها في الصلاة أو الفناء .

وللآنسة جان كوهين صورة . شخصية لرجل Portrait

(١) معرض الفن الثامن بنادي سيدات القاهرة - مدان مصطفى كامل

أما لوحات الآنسة منيرفا فرح — وهذه أول مرة أسعد فيها برؤية صورها — فهي خير برهان على أن الآنسة الفنانة تجد جديداً يهز مشاعرها في الأشياء التي تصادفنا كل يوم ولا نحفل بها . وهي حين تعرض علينا صورها تشركننا في عواطفها المتجددة ، وتفتح عيوننا على ألوان من الجمال كثيراً ما ننفل عنها . وتلك هي رسالة الفن .

والآنسة عطيات فرج توفق أحياناً فتبلغ مستوى زميلتها وصديقتها « جان » وتقصّر أحياناً ، وهي غالباً ما تحمل لوحاتها أكثر مما تطبق هذه اللوحات احتمالها من الأشكال والألوان ، فتضيق « الوحدة الفنية » ويتوزع اهتمام الناظر المتأمل ، ويبدو أنها تبذل في عملها مجهوداً كبيراً ، ولكن كل هذا الإجهاد لا يصل بها دائماً إلى غايتها ، ولألوانها طابع قاتم ، وليس لنا اعتراض عليه ما دام وحي شخصيتها وإحساساتها ، ولا شك أنها في طريقها إلى النجاح الكامل .

وقد وقتت الآنسة أنات ثعلبان في منظر من مناظر الطبيعة الصامتة ، ولكنها لم تبلغ المستوى نفسه في لوحاتها « المارية » و « زهور » .

وهناك فنانات ما زلن في منتصف الطريق : ففي صور « ماريان بيرسن » ، نجد أن الإحساس أقوى من الأداء ، ومع ذلك فهو إحساس لم يتركز بعد ، كما أن الألوان غير ناضجة ، وفي صورة « عمرضوان » للآنسة قدريّة علوبة نجد المظهر الخارجي للشيخ السن ، ولكنها لم تنجح في نقل صورته النفسية .

ونعتقد أن المستقبل والاجتهاد ، كفيل بأن يصل ببعض هؤلاء الفنانات إلى مستوى أرق ، واللواتي أعينهن بهذه الجملة الأخيرة ، هن الآنسات : قدريّة علوبة ، ومفيدة شعبان ، وكوكب يوسف . والمعرض في مجموعه مجهود لا بأس به

نصري عطية الله يوسف

## نقص إرشاد الأريب

إجابة عن تساؤل الأستاذ أحمد آل صالح المذكور في عدد (الرسالة ١٦٠) أقول : إننا لا نستطيع أن نهم باقوتنا الحموي بإغفال بعض الفحول ، غير أن الكتاب لم يصل إلينا كاملاً ، كما ذكر ذلك المرابى مرجليوث في مقدمة الطبعة الأولى . وأمر آخر هو أن أحد الوراقين كان لفق جزءاً وباعه للمرابى مرجليوث على أنه من « إرشاد الأريب » ، قطعه وألحقه بطبعته ، وراج ذلك على الدكتور الرفاعي فنشره في طبعته الأخيرة . ونفس باقوت لا يحنى على الخادق .

وفي دار الكتب المصرية ، مختصر لإرشاد الأريب ، لعله يتيسر لنا الاطلاع عليه قريباً ، فستين منه بعض ما خفي علينا من أصله .

## فلسفة الإسكندرية القديمة

حاضرنا الأستاذ يوسف كرم ، المدرس بكلية الآداب ، بجامعة فاروق الأول ، بقاعة المحاضرات لجمعية الشبان المسيحيين ، عن فلسفة الإسكندرية القديمة ، وهي الحلقة الأولى من سلسلة محاضرات تقيمها الجمعية عن مدينتنا الخالدة ، الإسكندرية ، في شتى العصور .

على أن ظاهرة لفتت نظري في محاضرة الأستاذ كرم ، عن أصل الفلسفة ! هل الفلسفة أصيلة في اليونان ؟ لقد أكد لنا الأستاذ كرم ، كما فعل كل مؤرخ للفلسفة من كتأينا المعاصرين ، — ما عدا الدكتور غلاب فيما أذكر — أصالة الفلسفة اليونانية ، وقال الدكتور كرم ، متابعاً في ذلك أرسطو وأشياعه ، إن طاليس اللطى هو أبو الفلسفة بلا منازع ! فما قول الأستاذ كرم في أننا تنازع طاليس هذه الأبوة ، ونزعم أن الشرق هو أبو الفلسفة . على أن الأستاذ كرم أمتعنا كل الإمتاع باستعراضه التلخيصي لتاريخ الفلسفة منذ أن وضع لبناتها طاليس — فيما يرى أستاذنا الفاضل — إلى آخر عهد الإفلاطونية الحديثة بالإسكندرية ، وإن أبناء النثر من رواد الحضارة الجديدة ليتطلعون إلى بحث جديد ، يحسون اليوم إرهاباً بوشك حدوثه ، وإن غداً لناظره قريب .

(الألكندرية)

على حسن محمود

## مول اسم كتاب

اطلعت على ما كتبه الأستاذ منصور جاب الله فيما يتصل بتخطئة عنوان كتاب « الفاروق عمر » ، ثم رد الأستاذ عبد المتعال الصعدي والأديب أحمد إبراهيم الغرابي عليه ، وكان من المصادفة أني كنت أقرأ ساعتها نص ابن الأباري « على أن اللقب إذا كان أشهر من الاسم يبدأ به قبل الاسم » فوجدت الأستاذ منصوراً محققاً في قوله لأن اسم سيدنا عمر أشهر من لقبه ، والعامه عندنا لا يكادون يعرفون لقب ثاني الخلفاء الراشدين ، على حين أنهم يحفظون اسمه حفظاً .

وأما ما ذكره الزرقاني من أن ألقاب الخلفاء تقدم على أسمائهم فهذا نادر لا يقاس عليه ، وبحسب القاري أن يسأل نفسه : هل يقول هارون الرشيد أو الرشيد هارون ، وهل يقول عبد الله المأمون أو المأمون عبد الله ... ليجد عند نفسه الجواب الصحيح . وقد أشار السيوطي إلى هذه المسألة اللغوية ، وقال إنها ( تخصيص لإطلاق وجوب تأخير الناقب )

وكان حرياً بسعادة الدكتور هيكل باشا أن يجري على الشهور من أقوال أئمة اللغة ويدع التخصيص الذي أورده السيوطي وغيره . ومن هنا لا نرانا نميل إلى قول الأستاذ الصعدي من أن الأستاذ منصور جاب الله كان متعنتاً في تخطئة اسم كتاب مؤلفنا الكبير ، وإنما كان رجلاً يسى وراء الحق ، ولو كان متعنتاً حقيقة لما أقدم على تخطئة رجل له من المكانة في وطنه وفي بلدان المروية ماله .

(الألكندرية)

عبد العزيز جادو

## ظهر البرم

## مشكلة اللغة العربية

بمجلد  
محمّد عرفه

يباع للهبات ... ولا يعطى للأفراد

يطلب من مجلة الرسالة — ثمن النسخة ٣٠ قرش





والإسلاماء !  
للمؤستاذ على أحمد باكثير  
بقلم الأستاذ لييب السعيد

## فيلسوف العرب والمعلم الثاني

لمعالي الأستاذ مصطفى عبد الرزاق باشا

هذا الكتاب من تأليف معالي مصطفى عبد الرزاق باشا الرئيس الفخري للجمعية الفلسفية المصرية . وهو أول كتاب في سلسلة بحوث الجمعية التي تمثل على « إشاعة التفكير الفلسفي في أوسع نطاق بنشر طائفة من المؤلفات في تاريخ الفلسفة ، وما بعد الطبيعة ، والاجتماع ، وعلم النفس ، على أن تتالج حقائق هذه العلوم من أسهل الطرق وأقربها مأخذاً » على حد ما جاء في التصدير وكتاب فيلسوف العرب والمعلم الثاني يحقق هذه الأغراض كل التحقيق ، فقد عرض معالي مصطفى باشا للموضوعات بما هو معروف عنه من التحقيق العلمي ، مع نفاذ الفكر ، وعمق النظر ورقة الأسلوب ، وبراعة الاستهلال ، ولطف الانتقال وموضوعات الكتاب أوسع من عنوانه ، فإلى جانب فيلسوف العرب وهو الكندي ، والمعلم الثاني وهو الفارابي ، نجد الشاعر الحكيم المتنبى ، وبطليموس العرب ابن الهيثم ، وشيخ الإسلام ابن تيمية .

وإذا كان المقصود هو التعريف بشخصية هؤلاء الأعلام ، على الأخص وأن حجم الكتاب لا يتسع للاحاطة بتفصيل مذاهبهم ، فقد اكتفى معالي الوزير بتحقيق حياة بعضهم ، وعرض الجانب الفلسفي عند البعض الآخر ، وهي جوانب كلها طراقة . أنظر إلى ما كتبه عن ابن تيمية ، نجد قطعة من الأدب الرفيع استهلها بقوله « في أواخر سنة ٧٢٨ هـ . كان في قلعة دمشق إمام من أئمة المسلمين ، شيخ جاوز السابعة والستين من عمره ، يمانى ألم الإعتقال والسجن ، وحيداً ، ليس معه إلا أخ له يقوم بخدمته . وكان الشيخ يقاسي فوق ألم السجن ألماً آخر ، هو على نفسه أشد وقماً : فقد منع من الكتابة والمطالعة ، وأخرجوا ما عنده من الكتب ، ولم يتركوا له دواة ولا قلم ولا ورقاً . وكتب عقيب ذلك بفهم يقول : إن إخراج الكتب من عنده من أعظم النقم » ... أليس هذا عرضاً للفلسفة بأسلوب الأدب .

(\*\*\* )

بعد أن ردت مصر الصليبيين في الصورة المجيدة لم يتألوا من الإسلام خيراً ، خرجت إلى « عين جالوت » ترد التارم الآخرين ، ووقف سلطان مصر المظفر قطز على رأس جيشه يشحن يده في أعدائه الطغاة ، بيد أن هؤلاء مكروا مكراً كاد يرديه لولا أن برز فارس مسلم ملهم رد عليهم مكرم وتلقى المكروه من دون السلطان ثم هتف وهو يمانى الموت : « من نضك يا سلطان المسلمين ، ها قد سبقتك إلى الجنة » .

لم يكن هذا الفارس سوى جنار : زوجة السلطان وحبيته . وقد جعل السلطان يقبلها ويقول لها في ذهول وجزع : « وازواجه ! واحبيته ! » فنادته وهي تجود بروحها : « لا تقل واحبيته قل : وإسلاماه ! » .

وانطلق السلطان إلى المعركة يصرخ : « وإسلاماه ! » . ورجاله معه يرددونها فيلقون في قلوب الذين كفروا الرعب ، ولا يزالون يجهادونهم وينظفون عليهم حتى يجيئهم النصر ونش الله صدور المؤمنين .

تلك هي القولة التاريخية التي اتخذها صديقنا الأستاذ على باكثير عنواناً لروايته الجميلة .

\*\*\*

كانت جنار وقطر رقيقين في جملة الرقيق أيام آل أيوب ، ولكن لها قصة حافلة بالعبث ، فعما سلاله بيت بريد النسب في الجند ، فأما هي فابنة السلطان جلال الدين بن خوارزم شاه ، وأما هو فابن عمها . وقد نزلت أفعج الأحداث بألها فبادرا جميعاً في ظروف عوج بالهول ، وسلم هذان من الموت ليباطا في الأسواق ليذوقا ضروباً من الهوان . وفرق الدهر الشت بينهما أمداً ثم جمعتهما الأقدار أخيراً ليكونتا سلفاً للمسلمين وليكتبنا في تاريخ الإسلام صفحة جد نصيرة :

\*\*\*

تجول الرواية أياماً مجيدة لسلف المسلمين . وفصلوها جميعاً تنطوي على رسائل سامية ، فهنا معرض خلق وبطولة باهرين ، وهناك حديث وطننة وتضحية مثاليين ، وهنا دموة قوية إلى

الاستمساك بالحق والحاسة له ، وتم حوافز للمجد وزراية على الضعف والضعفاء . ولكنك على كثرة ما تواجهك هذه المآلى لا تحسن أن الكاتب تكلفها ، بل تدرك أنها — مع علو نعطها — ليست الشيء الذى وضعت له الرواية وتلك لا ريب من خصائص القصة الفنية الناجحة .

\*\*\*

ولقد عرض المؤلف أشخاصاً يتمذر على القارىء نسيانهم لوفرة ما لدوا شعوره وناجوا ضميره . فكيف ينسى مثلاً «محمود» أبو قطز وصهر جلال الدين ووليه الحميم ومستشاره الحصيف الأمين ؟ وكيف ينسى «سلامة الهندى» الخادم الوفى الذى حل الطفلين : قطزاً وجلتاراً — وكان اسمها فى طفولتهما محموداً وجهاداً — إلى الهند يوم أغرق نساء بيت «خوارزم شاه» فى اليم تقاذفاً من ذل الإسمار ، والذى قاسى ما قاسى ابتغاء الوفاء ، والذى مات محمياً بالغلामين إذ يما فى أسواق النخاسة وجزعاً عليهما من تفرق الشمل ؟ وكيف ينسى «غانم المقدسى» السرى الصالح وزوجته البارة ؟ و «الحاج على الفرائش» الخادم الخير الذى لا تمنعه ضالة منزله من إسداء الجليل ؟ و «ابن الزعيم» المحسن البار والوطنى السلم المجاهد ؟

فأما «الشيخ عز الدين بن عبد السلام» العالم الذى لا يشتري بدينه ثمنًا قليلًا ، والسياسى الخالص العقيدة ، والمجاهد الصادق اليأس ، والزعيم الذى يجد الناس فى زمانه أنواراً وآمالاً ، فما ألطف وما أجل وما أنفع ما جرى به عنه قلم المؤلف فى روايته . إن القارىء كلما حكى المؤلف عن عز الدين شيئاً لتحويه موجات روحية ، وإن نفسه لتسمو وتسمو .

وفى الرواية صفحات أخرى كثيرة كأنها لمذوبتها فيوض من الشعر كتبها المؤلف بأسلوب مسيطر يتزعج للرواية منزلة طيبة بين الآثار الأدبية الطيبة .

فقطولة «جهاد» الخلوة ومماثلة أبيها لإياها وطموح «محمود» وبطلوته وغرامه بتدمير التار وهو بمد فى طفولته يجتاز الحياة على جسور من الأوهام والأحلام ، والحب الأكيد بين الطفلين ، وسناجة جلال الدين لأبيه حين أخطأ جلال وقسا على بلد إسلامى .. هذه كلها فيها جمال مؤثر ورقة تلفت القلوب ، وفيها دقة وحذق تساوقان علم النفس مساوقة ملحوظة .

والحب الذى كان بين قطز وجلتار ، الحب العظيم الذى كأن السماء كانت ترواه ، والذى نما به وشقيا ، هو فى كل جراحه من أمتع

ما فى الرواية وأكثره استهواء للب وهزناً للمواطف . حدث المؤلف عن الحبيين فى فترة من أيامها قال : «وحليت الدنيا فى عينهما فصارت رياضاً وأنهاراً ووروداً وأزهاراً وطيوفاً من منبأ الشفق البهيج ، وروحاً من نسيم الفجر الليل يتقلبان منها فى أيام كلها أصيل وليال كلها سحر .

ومن مثل هذا النسق المالى كانت كتابة «بكثير» عن ذلك الحب الفائق ، ومن مثله كان وصفه للطبيعة فى بعض جنبات روايته .

\*\*\*

بقى أن نعتب على مؤلفنا الموهوب ما حشد به روايته من أسماء كثيرة لأناس فى العهد الأيوبى لم تكن الرواية — فى رأينا — بحاجة إلى ذكرهم .

ونحن نستطيع صديقنا المؤلف فى أن نسأله : ما هذه الحيدة عن الطابع الأدبى الخالص فى بعض أسماء الرواية حين يسوق أحداث التاريخ غير مدبجة براع الأديب فلا هى خفيفة ولا هى محبوبة بل هى مجعدة للقارىء مزجة إياه . لقد قال مثلاً فى أحد النواضع : «فلما كان يوم السبت لست بقين من ذى القعدة سنة ٦٥٧ حصل كيت وكيت» فانظر كيف يتقل هذا على من يقرأ قصة أدبية محضاً . إن اللوحات بله العبارات الأدبية — وخاصة إذا كانت من أدب عمرّس بالقصة وتوفر عليها مثل مؤلفنا البارع — كانت كفيفة جداً بأن تشق لنا مسالك التاريخ فى الحدود التى تناسب روايته بوصفها آتراً أدبياً لا كتاباً تاريخياً . إن القصة الفنية كاللوحه — كما هو معلوم — والرسم يرسم الصورة للشيء القديم فيجعلنا بفنه ندرك تاريخ هذا الشيء ، دون أن يضع عليه اسم يوم أو شهر أو سنة . ألا وإن القطرة الفنية النواقة على قبيض العقلية العلمية لا تحفل كثيراً بالتواريخ ولا تسمى بالأسماء إلا بقسّدر . وأظن أن الأستاذ المؤلف إذا عنى بتقديم روايته لسابقة وزارة المعارف فى الموعد الذى ضرب للمتسابقين أهمل عن بث مواهبه الفنية فى تلك الأجزاء . ولو فعل لكنت روايته يقيناً من أرفع الآثار الفنية لدينا .

\*\*\*

وبعد فلا بد أن نقرر أن المؤلف كان فى جل روايته نافذ القوة ، وأنه — فيما خلا النواضع المشحونة بالتاريخ لغير داع فنى — بلغ فيما عرضه أقصى ما يبلغه مؤلف فى نسر قارته من الانفعال والتأثر القوى .

ليجب العبد